الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
مخبر الدراسات و الأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر
1830-1516

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط

المجلد الثاني
العدد الثاني: ديسمبر 2022

Vol 2/ N°2/ December 2022
م.2/عدد 2/ديسمبر 2022
المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Algiers 2 University Abou El Kacem Saâdallah
Laboratory of Studies and Research of Ottoman Heritage in Algeria
1516-1830

Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

Volume 2
Issue 2 : December 2022

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies

المجلد الثاني، العدد الثاني، ديسمبر 2022

مجلة أكاديمية دولية علمية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية العثمانية والبحر المتوسط، تصدر عن جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله

العنوان:	**- المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**
السلسلة:	- المجلد الثاني، العدد الثاني: ديسمبر 2022
الناشر:	- جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر: **حقوق النشر**: محفوظة لمنشورات جامعة الجزائر 2، الجزائر
هيئة التحرير:	
الرئيس الشرفي للمجلة:	بن حفري شكيب
مدير المجلة:	بوغفالة ودان
رئيس التحرير:	تواتي عصمت
المحررون المساعدون الجزائريون:	**جامعة الجزائر 2:** بن بلة خيرة، دحماني توفيق، كنتور رابح، خيراني ليلى. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة غرداية:** سهيل جمال . **جامعة خميس مليانة :** محرز أمين. **جامعة المدية:**غالي الغربي. **جامعة المسيلة :** بلعبد الوهاب فرنيني ليندا. **جامعة وهران 2:** القورصو كمال ، **جامعة تلمسان:** معروف بلحاج، صلاح الدين صالحي. **جامعة تيارت:** بن صحراوي كمال
المحررون المساعدون الدوليون:	**CSIC - مدريد:** دو بوينز إيبارا ميجيل أنخل. **جامعة أليكانت:** رويزبخارانو بربارا؛ بورخا فرانكو، كوتياس خوسيه فرانسيسكو، برنابي بونس لويس ف. **جامعة آق دينيز– أنطاليا:** شيمشك فاطمة. **جامعة ألكالا دي هيناريس، مدريد:** صولا إيميليو. **جامعة برشلونة:** كوراالس إلوي مارتين. **جامعة قادس:** مواق محمد. **جامعة جلال بايار – مانيسا:** بلبل أوغوز بتول، إيرسوزسربيل. **جامعة باري:** نيكوزيا آلدو. **جامعة غازي – أنقرة**: كورناز جمال. **جامعة الدار البيضاء :** لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعة اسطنبول:** كاديوأغلو محسن، بستان إدريس، آق محمود. **جامعة كركلارلي :** سردار حسين. **جامعة كوجا إيلي**: نيملي أوغلوكوجا ياسمين. **جامعة ليدن :** فان كريكن جرارد. **جامعة صفاقص** : شاشية حسام الدين. **جامعة صوفيا-طوكيو:** شيميزو نوريو. **جامعة SSHT–تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة فالنسيا:** كونستان أنطونيو. **جامعة فيسكنسن– ماديسون** : هوتشينسن ستيفن. **جامعة منبلي** : ألان تياري
الهيئة العلمية الإستشارية:	**جامعة أليكانت:** كوتياس خوسيه فرانسيسكو. **جامعة الجزائر 2**: سعيدوني ناصر الدين ، تابليت علي. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة SSHT–تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة صفاقص** : شاشية حسام الدين. **جامعة الدار البيضاء :** لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعة اسطنبول:** بستان إدريس، آق محمود. **جامعة غازي، أنقرة:** كرناز جمال
الأمانة:	بحيري يامنة ، محرز أمين ، بوحفص علاء الدين، برزوان نسيمة
الطبع:	مطبوعات جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر
الرقم الدولي المعياري للدورية ISSN:	1184-2800
تاريخ الإيداع القانوني:	2021/12/29

العنوان: **المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**، مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية	الهاتف:021270231 / 0553183261 **الفاكس**: 023180111	البريد الإلكتروني: aroms@univ-alger2.dz

أهداف المجلة

- المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط هي مجلة سداسية يُصدرها مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية. تأسست عام 2021، وتتبنى رسالة البحث في دراسة تاريخ العالم العثماني والمناطق التي كانت تنتمي إليه، ومنها الجزائر، وذلك خلال الفترة الحديثة على وجه الخصوص.

- تنشر المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط الأبحاث العلمية التاريخية الأصيلة في حقل الدراسات العثمانية وتاريخ البحر الأبيض المتوسط، وتسعى إلى إنتاج مادة علمية ذات جودة عالية، للباحثين المتخصصين في المجال أين يتبادلون فيما بينهم وجهات النظر لترقية البحث العلمي.

- تمنح المجلة الأولوية للدراسات التي تتناول تاريخ العلاقات السياسية والثقافية والتبادل الاقتصادي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتاريخ حركة الهجرة وظاهرة الرحلة داخل العالم العثماني، وبينه وبين العالم الخارجي في المشهد الثنائي والإقليمي والعالمي.

- تسعى المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر التوسط إلى التركيز على الدراسات التاريخية، و تترك مجال البحث مفتوحًا للتفاعل بين التاريخ وباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

قواعد النشر

- يُطلب من المترشح مراجعة رابط مجلة الدراسات العثمانية والبحر المتوسط على الموقع الالكتروني لمخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية:

http://www.lerpoa.univ-alger2.dz لتحميل الملفات التالية:

* دليل المؤلف: يحتوي هذا الملف على: دليل المؤلف، ميثاق النشر في المجلة، وثيقة نقل حقوق التأليف. اطلع على هذه الملفات جيدا، واحتفظ بها لتنفيذ مختلف عمليات تحضير المخطوط.
* تعليمات المؤلف: ويحتوي على نموذج كتابة مقال باللغات التي تنشر بها المجلة، اختر النموذج المناسب للغة مقالك.

- تحضير المخطوط:

* يجب أن تكون المقالات في المتن بخط Sakkal Majalla، حجم 14 تباعد الخط بسيط؛ باقي التفاصيل موجودة في النموذج.
* من الناحية الأخلاقية، أنت المسؤول الوحيد عن مقالتك ومحتوياتها، راجع ميثاق أخلاقيات النشر في المجلة.
* يمكن أن تكون مساهمتك في المجلة بأشكال مختلفة: مقال يلخص البحث العلمي النظري؛ أو تقرير عن حدث علمي؛ أو عرض لكتاب نشر مؤخرا.
* تقبل المجلة للتقييم المقالات الأصلية فقط، التي تتوافق مع النموذج الخاص بالمجلة، الذي قمت بتنزيله سابقا. بمجرد قبول المادة للنشر، يصبح المقال ملكًا لمنشورات جامعة الجزائر2، الجزائر، ولا يمكن إعادة نشره؛ راجع وثيقة نقل حقوق التأليف.
* يحتفظ فريق التحرير بالحق في تعديل النسخة النهائية من البحث، إذا لزم الأمر، حتى يصبح أكثر توافقاً مع نموذج المجلة.
* من المهم جدًا ملاحظة أن المؤلف ملزم بكتابة نصه ببساطة، ويتجنب التنسيقات الخاصة، ستتولى أمانة المجلة مسؤولية تنسيق جميع مقالات العدد، لذلك، ستتم إزالة كل التنسيقات التي لا تنسجم مع نموذج المجلة.

* حجم النص يكون في حدود 6000 كلمة (دون حساب قائمة الببليوغرافيا).

- بعد الانتهاء من تكييف ملف المقال مع شروط النشر بالمجلة، قم بصبه في نموذج مقال المجلة.

- احرص على احترام كل الإعدادات التي ستجدها في نموذج المقال. ثم قم بحفظ كل التعديلات التي قمت بها، وقم بإعادة تسمية المقال باسمك بالحروف اللاتينية.

- إرسال المقال:

* تُرسل المقالات إلى المجلة عن طريق البريد الالكتروني: aroms@univ-alger2.dz

- قبول المقال للتحكيم والنشر:

* عند استقبال المجلة للمقال، تقوم هيئة التحرير بمراقبة مدى احترام المؤلف لمتطلبات نموذج المقال الشكلية، ثم تتم مراقبة مدى أصالة المقال، إذا كان التقييمان إيجابيان، يتم قبول المقال للتقييم فقط.

* يتم حفظ وترميز المقال في صيغة (PDF)، بحيث يتم إغفال الاسم واللقب وباقي المعلومات التعريفية.

* يرسل المقال إلى المحرر المساعد المتخصص في موضوع المقال.

* يقوم المحرر المساعد بإرسال المقال إلى مراجعين اثنين. يتم تقييم كل مقال مقدم إلى المجلة سريا (لا يعرف المراجعان اسم مؤلف المقال، كما لا يعرف المؤلف هوية المراجعين). تسمح لنا مراجعة النظراء بتقييم دقيق وموضوعي من قبل المختصين.

* بعد انتهاء المراجعة، يمكن للمحرر المساعد، بناء على تقارير المراجعين، أن يرفض المقال أو يقبله كما هو، أو يقبله بتحفظ.

* في حال القبول بتحفظ سيعاد لك المقال، راجع تقارير المراجعين، وقم برفع التحفظات، ثم أعد إرسال المقال، كما يمكنك حينها تقديم شروح وتوضيحات للمراجعين.

- إرسال الإقرار (التعهد) بنقل حقوق التأليف:

* نشر المقال بالمجلة مرهون بإرسال المؤلف تعهدا بنقل حقوق التأليف والنشر (ممسوح ضوئيا) على شكل (pdf/Image) (النموذج المتوفر على الرابط المذكور أعلاه) إلى

رئيس التحرير عبر البريد الإلكتروني للمجلة: aroms@univ-alger2.dz هنا يمكنك طلب وعد بالنشر عند الإقتضاء.

* ينشر سنويا العدد الأول شهر جوان والعدد الثاني شهر ديسمبر من المجلد إلكترونيا، وعندئذ يمكنك تحميل المقال إلكترونيا من رابط المجلة على موقع مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر: http://www.lerpoa.univ-alger2.dz

المحتويات

1 - باللغة العربية

افتتاحية العدد		7
خريطة العالم الجديد للبحار بيري ريس خلال فترة الكشوفات الجغرافية	بستان إدريس	9
حملة الأميرال أندريا دوريا لغزو شرشال سنة 1531	بحيري يامنة	31
نماذج من عقود المحكمة الشرعية في الجزائر خلال العهد العثماني	خيراني ليلى	49
وصف المصادر المحلية للمدن الساحلية الجزائرية خلال العهد العثماني	شارف رقية	75

2 - باللغات الأجنبية

From the Adriatic to the Western Mediterranean: Albanians and Dalmatians in Algiers during the 16th Century	**Muhaj Ardian**	**96**
Some Notes on Life and Commerce in Algiers and Tunisia through the Unpublished Diary of Father Francisco Ximénez (18th century)	**Bernabé Pons Luis F.**	**115**

افتتاحية العدد

في هذا العدد الجديد من المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية و البحر المتوسط، تقدم لنا السيدة خيراني عرضًا تفصيليًا لقانون العقود في الجزائر خلال العهد العثماني، وتذكرنا بأهمية المصادر المحلية، ولا سيما المخطوطات، في كتابة تاريخ البلاد، كمصادر لا تزال غير مستغلة بشكل كاف. يشير السيد بستان إلى أن خريطة أمريكا التي رسمها البحار ورسام الخرائط العثماني بيري رايس هي واحدة من أقدم الخرائط المعروفة، تمامًا كما هي معاصرة لما يسمى بحركة الاكتشافات الجغرافية. علاوة على ذلك، فإن بيري رايس هو أول من جعل هذه القارة معروفة ضمن المجال العثماني ودفع السلاطين العثمانيين إلى منح الاهتمام للعالم الأطلسي. يستحضر السيد أرديان محج، في سياق توسيع المجال العثماني في البحر الأبيض المتوسط، الهجرات الداخلية إلى هذه الإمبراطورية، من خلال الدور الخاص للألبانيين والدلماسيين في الجزائر في القرن السادس عشر، وهو دور مهم كان ملحوظًا بشكل خاص في نشاط القرصنة الذي كان في أوج ازدهاره. وقد استخدم شخصيتان رئيسيتان كمثالين له: مامي أرناوت ومراد رايس. فيما أعطتنا السيدة بحيري دراسة مفصلة عن حملة أندريا دوريا ضد شرشال عام 1531. ساعدت هذه الحملة، التي أسفرت عن انتصار الدفاع الجزائري، في تعزيز قوة خير الدين بربروس في المنطقة، كما أقنعت آل هابسبورغ بإعداد حملة كبيرة ضد الجزائريين. على الفور، استولى الإسبان على مدينة هنين لتعزيز الوجود الإمبراطوري المسيحي في الغرب الجزائري، حيث أن محاولتهم فشلت في وسط البلاد. من خلال

بعض الأمثلة المختارة، يقدم السيد برنابي بونس وجهة نظر رجل دين كاثوليكي إسباني، فرانسيسكو خيمينيز، في جزء من المنطقة المغاربية في الأعوام 1718-1720. لم يتم نشر مذكرات خيمينيز الضخمة حتى الآن. أما بالنسبة للسيدة شارف، فهي تشرح لنا الطريقة التي نظر بها المؤلفون المحليون إلى المدن الساحلية الجزائرية خلال الفترة العثمانية. ويظهر على وجه الخصوص مناخ الحرب والأعمال العدائية التي كان الساحل الجزائري يتعرض لها في كثير من الأحيان في ذلك الوقت.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 2 ص ص 9-30
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/11/30) تاريخ القبول (2022/12/15) تاريخ النشر (2022/12/29)

خريطة العالم الجديد للبحار بيري ريس خلال فترة الكشوفات الجغرافية

Map of the New World of the sailor Piri Reis during the period of geographical discoveries

بستان إدريس♦
جامعة إسطنبول
البريد الإلكتروني : idrisbostan@gmail.com

ملخص:

يعتبر البحار العثماني بيري ريس من أهم العلماء المسلمين في فنون البحر و الجغرافيا في العصر الحديث و بالضبط في القرن 16م عندما ظهرت حركة الكشوفات الجغرافية الكبرى بزعامة البرتغال و إسبانيا في عالم المحيط الأطلسي. ترجع شهرة البحار بيري ريس ليس فقط لتأليفه لأهم مصدر إسلامي لفنون الإبحار و الجغرافيا، الموسوم ب "كتاب البحرية" و لكن كذلك لرسمه لخريطة العالم الجديد، الأولى في سنة 1513م و الثانية التي كانت خريطة أكثر دقة في سنة 1528م، أظهر من خلالها حنكته و معرفته الواسعة حول علوم الإبحار و الجغرافيا و كان سباقا في نشر المعلومات و الأخبار حول العالم الجديد في العالم العثماني و الإسلامي و حثه من خلال تألفيه كل السلاطين العثمانيين الإهتمام بالمجال البحري و الجغرافي الذي أصبح منذ القرن 16م رمزا و أداة للسيطرة و بسط النفوذ على المستوى العالمي.

الكلمات المفتاحية:

بيرى ريس؛ الأسطول العثماني؛ العالم الجديد؛ الصراع العثماني-البرتغالي؛ المحيط الهندي.

Abstract:

The Ottoman sailor Piri Reis is considered one of the most outstanding Muslim scholars in sea arts and geography in the

♦ المؤلف المرسل. ترجمة المقال من التركية الى العربية من طرف أ.د. بن حفري شكيب

Modern era and more specifically in the Sixteenth century when the major geographical discoveries movement appeared, led by Portugal and Spain in the Atlantic Ocean. Piri Reis' fame is not only due to his authorship of the most important Islamic source of the arts of sailing, entitled *Kitâb-i Bahriye*, but it was also related to his drawing of maps displaying the New World: the first one in 1513, and a second more precise one in 1528. Through the latter, he showed his vast knowledge regarding sailing sciences and geography and was a pioneer in the publication of information and news about the New World in the Ottoman and Islamic world. In addition, through his publications, he urged the Ottoman sultans to show interest in the maritime and geographical field, which became since the Sixteenth century, a symbol and a means of control and influence worldwide.

Keywords:
Piri Reis; Ottoman Fleet; New World; Ottoman-Portuguese conflict; Indian Ocean.

1. بيري ريس و عالم البحر المتوسط

لا شك أن من أهم الخرائط التي رسمت حول "العالم الجديد" منذ فترة الكشوفات الجغرافية الى يومنا هذا، تعود الى البحار العثماني بيري ريس الذي وضع أول خريطة للعالم الجديد، بينما قام برسم خريطة ثانية ضمها في مؤلفه الشهير ب"كتاب البحرية". تعود أصول بيري ريس إلى المدينة الساحلية غاليبولي، و يرجح انه ولد عام 1470. تعلم و هو في فترة شبابه دروس الإبحار و قيادة السفن إلى جانب خاله، الغازي كمال ريس. أبوه هو الحاج محمد غاليبولي و جده علي ريس مما يدل على نشأته و ترعرعه في كنف عائلة متمرسة في فنون الإبحار و قيادة السفن[1]. قام

[1] حول حياة كمال رئيس يمكن الإطلاع عل مقال إدريس بستان بالموسوعة الإسلامية. المعلومات حول أب كمال ريس انظر خليل إينالجيك :

BOSTAN (İdris): "Kemal Reis", *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, c. 25, s. 226-227; **İNALCIK (Halil)**: *Sources and Studies on the Ottoman Black Sea I, The*

بيري ريس و إلى غاية إنضمامه في خدمة الأسطول العثماني سنة 1495م (901هـ) بالمشاركة في العديد من الحملات البحرية ضد السواحل و القلاع البحرية التابعة للبندقية و الإمبراطورية الإسبانية. كما يذكر في مؤلفه المذكور، كيف شارك في إحدى الحملات للإستيلاء على إحدى الجزر التابعة لمايورقة الإسبانية و قيامه بمحاصرة جزيرة بنتيلاريا (Pantelleria) بشمال غرب جزيرة مالطة. كما شارك في حملة محاصرة و الإستلاء على جزيرة بيانوسا (Pianosa) بالقرب من كورسيكا و جلب الأسرى منها. كما يذكر في "كتابه البحرية" ذلك النشاط البحري الذي قام به بالقرب من جنوب مدينة طولون الفرنسية و بالضبط بالمنطقة المعروفة بالجزر الثلاثة و الإستلاء على ثلاث سفن تجارية و في نفس السياق، قيامه بمطاردة و الإستلاء على سبعة سفن بالقرب من مدينة فالنسيا الإسبانية و التي قام ببيعها على السواحل التونسية. في غمار ذلك النشاط البحري بالحوض الغربي للمتوسط، يروي لنا كيف قضى فصل الشتاء إلى جانب خاله كمال ريس بالسواحل التونسية و اتصاله مع السلطان الحفصي، مولاي محمد. كما يذكر حادثة مروره بمدينة بجاية و استقراره بها مع كمال ريس و زيارة مرابطها، الشيخ سيدى محمد التواتي، قبل انتقاله من هذه المدينة للإستمرار في نشاطه البحري عقب إنتهاء فصل الشتاء. من هنا يمكن أن نجزم أن كل من كمال ريس و بيري ريس كانوا أول البحارة الأتراك-العثمانيين و قبل الإخوة بربروسة في التعرف و القيام بالحملات البحرية بالحوض الغربي للمتوسط بعيدا عن مركز الدولة العثمانية. و يتعرض في مؤلفه الى كيفية قيامهم بالإستلاء على جزيرة بيانوسه التابعة لجزيرة كورسيكا و أخذ الغنائم منها و أسر عدد هام من سكانها[2]. نجده فيما بعد و بطلب من السلطان بايزيد الثاني، يدخل في خدمة الأسطول العثماني و يقوم بنقل أموال أوقاف الحرمين الشريفين نحو ميناء الإسكندرية و في طريق عودته من مصر نجده ينظم الى جانب الأسطول العثماني في معركة بحرية ضد

Customs Registers of Caffa, 1487-1490, ed. V. Ostapchuk, Cambridge Mass. 1996, s. 113, dipnot 2.

[2] يذكر بيري ريس في كل من الصفحات 518، 578، 596 و 636 الحملات التي شارك فيها و يفهم أنه استمر في ذلك النشاط البحري الى غاية 1495م (901هـ):

PİRİ REİS: *Kitabı Bahriye*, (haz. F. Kurdoğlu-H. Alpagot), İstanbul, 1935, s. 518, 578, 596, 636.

سفن فرسان رودوس. كما لعب لاحقا، دورا مهما بسفن القادرقة (kadırga) العثمانية، لفتح كل من قلعة ليبانتو و مودون و كورون و نفارين التابعة لدولة البندقية، سنتي 1499-1501 (905هـ-906هـ)[3].

في نفس المصدر، يتعرض بيري ريس إلى الدور الهام الذي قام به لمساعدة أهل الأندلس عقب سقوط غرناطة، بحيث جهز و شارك في عدة حملات ضد السواحل الإسبانية في سنة 1506 (911هـ) و قام بنقل عدد هام من الأندلسيين نحو سواحل شمال إفريقيا و مناطق أخرى من العالم الاسلامي. نجده فيما بعد و في إطار خدمة الدولة العثمانية، يقوم بنقل المساعدات الحربية من جنود و مدافع إلى دولة المماليك بمصر في إطار صراعها ضد البرتغال. في إطار نقل المساعدات العسكرية لمصر للمرة الثانية، غرقت سفينة خاله ريس كمال الذي فقد حياته بسبب عاصفة بحرية بمنطقة بحر إيجه. و قد اعتبر جل المؤرخين أن هذه الحادثة شكلت فعلا مرحلة جديدة في حياة و نشاط بيري ريس البحرية (1510م/916هـ). في إطار التحضير لمشروع ضم مصر إلى الحضيرة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، نجد بيري ريس يلتحق بسفينته من نوع قاديرقة بركب الأسطول العثماني و التي اجتاز بها وادي النيل ليصل الى القاهرة سنة 1513م (919هـ).

و قد استغل فرصة وجود السلطان العثماني سليم الأول ليقدم له في سنة 1517م أول خريطة للعالم الجديد قام برسمها. هذا و اثناء سفره من الإسكندرية نحو القاهرة و عبوره لوادي النيل، الذي قام برسمه و رسم فروعه المختلفة بدقة متناهية ضمها في مؤلفه، "كتاب البحرية". بعد عودته إلى مسقط رأسه بغاليبولي، إستغل الفرصة لإتمام تأليف كتابه الذي كان يحمل في البداية العنوان التالي: "أشكال الجزر و سواحل البحر الأبيض المتوسط" ليتحول فيما بعد الى العنوان الجديد و الأخير "كتاب البحرية" الذي انتهى من تأليفه سنة 1521م.

في عهد السلطان سليمان القانوني و أثناء حملته ضد بلغراد سنة 1521 (927هـ) و الحملة البحرية ضد جزيرة رودوس 1522م (928هـ) نجد بيري ريس ينظم بسفينة قاديرقة إلى جانب وحدات الأسطول العثماني للمشاركة في هذه الحملة.

---

[3] الأرشيف العثماني، دفتر المتفرقة، رقم 36806، ص. 373.

عقب ذلك و بهدف تنظيم الأمور و المؤسسات الإدارية بمصر قام بيري ريس بمرافقة الصدر الأعظم إبراهيم باشا، على متن سفينته إلى غاية رودوس 1524م (930ه)، فاستغل هذه الفرصة لتقديم أول مسودة من "كتاب البحرية" للصدر الأعظم. بفضل الدعم و التشجيع الذي تلقاه من الوزير المذكور قام بتحضير النسخة الثانية و المنقحة من "كتاب البحرية" سنة 1526م. كما قام برسم خريطته الثانية عن "العالم الجديد" و التي قدمها هدية إلى السلطان سليمان القانوني 1528م. إبتداء من هذا التاريخ تحصل على رتبة بيري كتخدا و تم توظيفه بالترسانة البحرية بغاليبولي و نجده لاحقا منظما بوحدات بحرية الى جانب الأسطول العثماني تحت قيادة خير الدين بربروسة.

لاحقا نجده يشارك في الحملة البرية التي قام بها السلطان سليمان القانوني ضد بوليا أو ما يعرف في المصادر بحملة أفلونيا. كذلك شارك في الحملة البحرية التي قادها الوزير الأعظم لطفي باشا ضد السواحل الإيطالية لينتقل بعدها نحو سواحل مدينة أفلونيا هذا و بهدف تقوية الحضور العسكري للأسطول العثماني، إلتحق خير الدين بربروسة بسواحل أفلونيا في 22 أوت 1537 (15 ربيع الأول 944ه) ؛ هناك اشترك بيري ريس في المشاورات مع السلطان العثماني للتحضير للحملة ضد جزيرة كورفو. استغل السلطان سليمان القانوني وجود الضباط و رياس البحر مجتمعين حوله بما فيهم بيري ريس للمشاركة في مراسيم تلبيس الخلعة السلطانية لهؤلاء الرياس عرفان للخدمات التي قدموها للأسطول العثماني[4]. بحكم أن بيري ريس كان منظما لوحدات الأسطول العثماني فهناك احتمال كبير أنه شارك كذلك في إحدى أهم الإنتصارات البحرية العثمانية ضد أسطول التحالف الاوربي في برويزة/Preveza في 28 سبتمبر 1538م (4 جمادى الأولى 945ه) و كان من نتائج هذا الانتصار تعزيز الوجود البحري العثماني في كل البحر الأبيض المتوسط. عقب ذلك، نجد بيري ريس يكلف في شهر سبتمبر 1544م (رجب 951ه) بمهمة حماية قلعة كفالة/Kavala على رأس سفينتين من نوع غلياته، مما يبين الأهمية التي كان يحظى

[4] حول قضية تلبيس الخلعة لبيري ريس : الأرشيف العثماني، إسطنبول، .D. BRZ. رقم 20613 ص. 10.

بها بيري ريس في السياسية البحرية للدولة العثمانية في فترة السلطان سليمان القانوني[5].

2- تعين بيري ريس أميرال على المحيط الهندي

1.2- حملة عدن

يعتبر عهد السلطان سليمان القانوني و القرن 16م من أهم مراحل التوسع الإستعماري الأوروبي في خضم حركات الكشوفات الجغرافية الكبرى، خاصة من طرف دولة البرتغال التي أرسلت وحدات أسطولها البحري من أقصى نقطة من غرب العالم الأوروبي نحو أبواب المحيط الهندي و بدأت تخطط لاحتلال منطقة البحر الأحمر و التحكم في المضايق و خاصة مضيق البصرة، بغرض خنق التجارة الإسلامية التي كانت تعتمد على الموارد التجارية الأسيوية التي تصلها عن طريق المحيط الهندي[6]. بل أكثر من هذا كان الهدف هو الوصول و تخريب البقاع المقدسة بمكة و المدينة لإلحاق هزيمة شاملة بالعالم الإسلامي ككل. أمام هذه الأخطار و بعد تثبيت التواجد للأسطول العثماني بالمتوسط، أصبح من الضروري بمكان تقوية تواجد القوات البحرية العثمانية بالبحر الأحمر و المحيط الهندي لحماية الحدود البحرية و البرية الجنوبية للدولة العثمانية، رغم بعدها عن مركز الخلافة، لكن قضية حماية الحرمين الشريفين أصبح من أولويات البعد الديني و الإستراتيجي للدولة العثمانية.

لهذه المأمورية المهمة تم اختيار بيري ريس في مكان فرهاد باشا الذي أنهيت مهامه كأميرال على المحيط الهندي. يعتبر هذا التعين مرحلة جديدة و هامة في حياة بيري ريس، جعله يتعرف و يكتسب تجربة في الإبحار في عالم المحيطات[7]. في هذه المرحلة بدء الحديث عن الأسطول العثماني بالمحيط الهندي الذي كلف بتنظيم الحملات البحرية في مجال البحر الأحمر و المحيط الهندي على السواء. لعل استعمال هذا التعبير الجديد لمجال المحيط الهندي يظهر بصورة جلية عندما تم تعين خادم

[5]BOA, Kamil Kepeci, (KK), nr. 62, s. 528, hüküm, 933.

[6]حول الصراع البرتغالي-العثماني بالبحر الأحمر و المحيط الهندي أنظر كتاب صالح أوزبران :
ÖZBARAN (Salih): *Umman'da Kapışan İmparatorluklar, Osmanlı ve Portekiz*, İstanbul, 2013.

[7]**ORHONLU (Cengiz)**: "Hint Kaptanlığı ve Piri Reis", *Belleten*, sayı 134, Ankara, 1970, s. 235-254.

سليمان باشا، كا بيلرباي على إيالة مصر في سنة 1538م (945ه)، و قيامه بأول نشاط بالأسطول في هذا المجال البحري الذي أصبح ينعت له ب"أسطول المحيط الهندي"[8]. لاشك أن تعين بيري ريس كأميرال للأسطول العثماني بالمحيط الهندي كانت مرتبة مشرفة له و لكن في نفس الوقت كانت سبب في التحضير لنهايته المأسوية كما هو معروف. أول نشاط بحري قام به و هو برتبة "سنجاق اميري" باسترجاع مدينة عدن و مضيقها، التي كانت بمثابة القلعة العثمانية الوحيدة على المحيط الهندي و التي كانت تحت سلطة الأمير المحلي المتمرد علي بن سليمان[9]. لما وصلت أخبار نهاية حالة التمرد بعدن قام بايلرباي إيالة مصر داود باشا، بتجهيز 60 سفينة من الأسطول المتواجد بمنطقة السويس و أرسلها فيها 300 جندي انكشاري باتجاه عدن ليكون تحت تصرف الأميرال بيري ريس[10]. في حقيقة الأمر، قام والي مصر داود باشا و قبل خروج الأسطول المرابط بمصر في 29 أكتوبر 1547م (15 رمضان 954ه) بإرسال رئيس البوابين (قبوجوباشى) المدعو حسين باي مصحوبا بفرقة من الإنكشارية و ثلاث سفن من منطقة السويس عن طريق السرعة ليخبر أهل منطقة عدن عن اقتراب وصول الأسطول و الجيش العثماني نحو المنطقة[11]. هذا و من جهته لما سمع وصول رئيس

[8]*Topkapı Sarayı Arşivi H. 951-952 Tarihli ve E-12321 Numaralı Mühimme Defteri*, (haz. H. Sahillioğlu), İstanbul 2002, h. 6, s. 8-9. C. Orhonlu, Kızıldeniz'deki Osmanlı deniz üssüne önceleri "Süveyş Kaptanlığı", donanmaya "Bahr-i Ahmer Filosu" dendiğini, Hind donanması tabirinin ise 16. yüzyılın ortalarından itibaren kullanıldığını (*Hint Kaptanlığı*, s. 235) belirtse de, 1547'de Piri Reis'in Hind donanması kapudanı olduğunu yazmaktadır (krş. s. 236).

(في البداية كان الحديث عن رتبة قبطانية البحر الأحمر أو أسطول البحر الأحمر. بينما بدأ الحديث عن أسطول المحيط الهندي في منتصف القرن 16م، إبتداء من 1547م أصبح ينعت لبيري ريس بقبودان أسطول المحيط الهندي).

[9]Bâ Sencele, Ali b. Süleyman et-Tavlakî'nin (23 Cemâziyelevvel 954'te) Aden'i Osmanlılardan (Rumîler) aldığını ve birçoğunu öldürdüğünü yazmaktadır **BÂ SENCELE (Abdullah b. Muhammed b. Ahmed)**: *Târîhü'ş-Şihr el-müsemmâ el-ıkdü's-semînü'l-fâhir fî Târîhi'l-âşir*, tahk. Abdullah Muhammed el-Habeşî, San'a, 2006, s. 94).

(يذكر المؤلف با سنجالة، أنه في 23 جمادى الأولى 954 ه، تم الإستلاء و أخذ عدن من العثمانيين بعد معركة حامية الوطيس و سقوط عدد هام من القتلى في صفوفهم).

[10]Matrakçı Nasuh, Tevârih-i Âl-i Osman, (Rüstem Paşa Tarihi), İ.Ü. Nadir Eserler Kütüphanesi, TY. 2438, vr. 277a-b.

[11]Matrakçı, *Tevârih*/*Rüstem Paşa Tarihi*, vr. 277b.

البوابين المذكور إلى منطقة محى قام باي اليمن فرهاد باشا، بتكليف أحد رجاله المدعو مراد كشيف على رأس سفينة باشترده و أربعة سفن أخرى محملة بالجنود بهدف تقوية تواجد الأسطول العثماني بالمنطقة في 29 ديسمبر 1547م (17 ذي الحجة 954هـ). هذا لما وصلت القوات البحرية تحت قيادة رئيس البوابين حسين أمام قلعة عدن و على اثر القصف المكثف بمدفعية السفن الذي خلق جو من الرعب و الخوف في قلوب الأهالي المتمردين، قاموا بفتح أبواب القلعة للقوات العثمانية. في اليوم الموالي قدمت ثلاث سفن برتغالية لمحاولة الإختراق و الدخول الى ميناء عدن لكن القوات العثمانية أجبرتها على الإنسحاب نحو السواحل الأثيوبية و بالضبط إلى المدينة الساحلية زايلة، التي تعاقبتها السفن العثمانية و نجحت في الإستلاء عليها و أسر 120 بحار برتغالي استعملوا في التجذيف داخل السفن العثمانية، بينما تم إحراق تلك السفن البرتغالية داخل الميناء المذكور و أمام أعين أهلها.

أمام حالة استمرار حركة تمرد الأهالي بعدن، أرسل الباي أوزدمير قوة عسكرية متكونة من 500 جندي تحت قيادة الأمير السابق و المخلوع لعدن المدعو قاسم باي[12]. أمام هذه الوضعية قام رئيس المتمردين علي بن سليمان في 15 نوفمبر 1547م (2 شوال 954هـ) بنشر قواته المتكونة من 3000 جندي أمام الأسوار الخارجية لقلعة عدن. لقد كان صراع حامي الوطيس بين القوتين لم تسفر الا على مقتل رئيس المتمردين و انسحاب الجيش العثماني من أسوار القلعة لشدة السلاح الناري للمتمردين و قوة تحصينات القلعة[13]. أمام هذه الوضعية قام القائد المحلي محمد الذي خلف أبوه الذي لقي حتفه في المعركة المذكورة، بإرسال رسوله إلى القوات

[12]Bâ Sencele, *Târîhü'ş-Şihr*, s. 94.

[13]Bâ Sencele, Ali b. Süleyman'ın 26 veya 27 Kasım'da (13 /14 Şevval) bir tüfek mermisiyle öldürüldüğünü, Osmanlıların kaleye girdiklerini, oradaki çatışmalarda Ali b. Süleyman'ın oğlu Muhammed b. Ali emrindeki Aden güçleri ile çatışma olduğunu, 100 kadar Rumi okçunun öldürüldüğünü anlatmaktadır (*Târîhü'ş-Şihr*, s. 94)

(حسب ما ورد في كتاب با سنجله تاريخ الشحر، أن علي بن سليمان قد تم قتله بطلقة من البندقية في 26 أو 27 نوفمبر (14/13 شوال)، عقب ذلك دخلت القوات العثمانية للقلعة و هناك تشابكت تلك القوات مع القوات التي كانت تحت قيادة إبن الأمير المقتول، محمد ابن علي، و من خلالها تم قتل 100 جندي من الروم أو المسحيين، أي القوات البرتغالية).

البرتغالية المرابطة بالمنطقة طالبا المدد و السلاح لرد القوات العثمانية. في هاته الظروف قام رئيس البوابين حسين بإرسال أحد الأعيان إلى الأمير المتمرد طالبا منه تسليم القلعة و المدينة و ليخبره بقدوم أسطول عثماني متكون من 60 سفينة حربية تحت قيادة بيري ريس للمحاصرة و الدخول لمدينة عدن[14].

هذا و بهدف التحضير لهجوم جديد ضد قلعة عدن و أميرها المتمرد و المتحالف مع البرتغاليين، قام أمير أمراء اليمن، فرهاد باشا، بإرسال قوة عسكرية جديدة يترأسها جملة من الضباط و القادة مثل موسى باي، محمد باي و حسين آغا و آغا الانكشارية أحمد آغا و رئيس الفرقة العسكرية للعزاب سنان آغا و الذين وصلوا الى مشارف المدينة لمحاولة فتحها من جديد، بينما رئيس البوابين حسين الذي كان قد وصل مع قواته أمام عدن يوم 7 جانفي 1548م قام بالتحضير مع الضباط المذكورين خطة للتوغل للقلعة المستعصية و القضاء على حركة التمرد بصفة نهائية. كانت الخطة تكمن في فتح ممر سري من خلال إرسال سرية من الجيش خلف الجبال المطلة بالقلعة و لكن المتمردين داخل القلعة تفطنوا للخطة، فصوبوا سلاحهم الناري ضد تلك السرية العثمانية التي سقط منها عدد هام من الضحايا. أمام هذه الوضعية تراجعت القوات العثمانية من أمام أسوار القلعة. في اليوم الأول من عيد الأضحى 21 جانفي 1548م (10 ذي الحجة 945ه) تم كشف خبر عن التحضير لتموين المتمردين بالأسلحة و المؤونة من ميناء القرية البحرية القريبة المعروفة بمسجد. عقب هذا الخبر، قام رئيس البوابين حسين بإرسال مجموعة من السفن للإحالة دون وصول ذلك المدد للمتمردين داخل القلعة. و قد تم ترتيب عشرة زوارق صغيرة لنقل السلاح و المؤونة للمتمردين و تم إرسال حوالي 600 الى 700 محارب بغية حماية الجهة البرية من الطريق حتى يتم ضمان وصول المدد المذكور. لكنها اصطدمت بالقوات العثمانية التي عملت على تشتيت فرقة المتمردين و ضبط تلك الزوارق التي كانت تحمل المؤونة و السلاح للمتمردين بالقلعة[15].

أخيرا في 30 جانفي 1548م (19 ذي الحجة 954ه) وصل الأسطول العثماني بقيادة بيري ريس إلى عدن، فتوجه الى ميناء باب اليمن حيث قام بإخراج القوات

[14]Matrakçı, *Tevârih/Rüstem Paşa Tarihi*, vr. 278a-b.

[15]مطرقجي، التواريخ/ تاريخ رستم باشا، ص. 279

العسكرية الى البر و تم وضع المدافع على مرتفعات جبل شمسان و التي من خلالها تم قصف المدينة و القلعة لمدة ثلاث أيام متتالية. في اليوم الموالي حتى و ان قام الأمير المحلي المتمرد بإرسال قواته نحو الجبل لتصدي للقوات العثمانية، فإن الصراع لم يسفر على أية نتيجة و اضطرت قوات الأهالي للإنسحاب نحو القلعة. بينما واصلت القوات العثمانية تحت قيادة بيري ريس بالإستمرار في قصف القلعة لمدة 18 يوما و تم التخطيط لعملية إرسال القوات البرية نحو أسوار القلعة، لكن الأخبار التي نقلها شخصين هربوا من القلعة، تفيد أنه تم تلغيم كل القلعة و تم التحضير لتفجير كل البارود و المدافع في حالة اقتراب القوات العثمانية مما دفع بيري ريس التخلي عن فكرة إرسال القوات أمام أسوار القلعة.

أمام هذه الأوضاع، في25 فيفري 1548م (14 محرم 955ه) تم التفكير إختراق القلعة من منطقة جبل الكفل و التي شهدت معركة كبيرة بين الطرفين إنتهت باستسلام قلعة عدن و أهلها. في اليوم الموالي و كان مصادفا ليوم الجمعة، تم قراءة الخطبة باسم السلطان العثماني و تم ضمان رجوع عدن تحت السلطنة العثمانية. أمام هذه الأخبار السارة و المجهودات المتكررة من طرف ضباط القوات البرية و البحرية بقيادة بيري ريس لتحقيق هذا الإنتصار، دفع الباب العالي الى ترقيتهم و الرفع من رواتبهم عرفانا بتلك المجهودات المبذولة للتصدي و إبعاد الخطر البرتغالي عن منطقة المضايق العربية المهمة[16]. في الحقيقة كان والي مصر، داوود باشا هو أول من قام بزف خبر فتح عدن إلى إسطنبول و التي على اثرها تم إرسال مكافئة مالية تقدر ب100.000 أقجة للأميرال بيري ريس بينما تم ترقية و رفع أجور كل الضباط المشاركين في تلك الحملة الناجحة[17].

[16] نفس المعلومات نجدها حول فتح عدن و مقتل أميرها المتمرد محمد بن علي في:
Matrakçı, *Tevârih/Rüstem Paşa Tarihi*, vr. 279b-280a-b; Bâ Mahrama (R. B. Serjeant, *The Portuguese off the South Arabian Coast*); Hadrami (Chronicles, Oxford 1963, s. 107-108) ve Bâ Sencele (*Târîhü'ş-Şihr*, s. 94, 97, 98).

[17]Matrakçı Nasuh, *Süleymannâme*, Arkeoloji Kütüphanesi., nr. 379, vr. 88b-89b; Kâtib Çelebi, *Tuhfetü'l-kibâr fî esfâri'l-bihâr* (haz. İ. Bostan), Ankara 2008, s. 89; Orhonlu, "Hint Kaptanlığı", s. 239.

حول هذا الموضوع يمكن الإطلاع بالأرشيف العثماني على تلك الوثيقة التي يتم فيها ترقية بيري ريس الذي كان يحمل رتبة باي السنجق و أميرال المحيط الهندي، حيث تم رفع مرتبه ب25.000 أقجه[18].

2.2- حملة مسقط و هرمز

1.2.2- ضم مسقط تحت الحكم العثماني

تعد الحملة الثانية و المهمة التي قام بها الأميرال بيري ريس بالمحيط الهندي لضم مضيق و منطقة هرمز التي كانت تعتبر أهم مستعمرة و قلعة تحت سيطرة البرتغال و قد استغل الأسطول البرتغالي هذه المستعمرة للاستلاء خلال سنوات 1550 و 1551م على كل من قلعة لحسة و كليف بالمنطقة[19]. وقد جهز بيري ريس لهذه الحملة أسطولا متكون من 24 سفينة من نوع قاديرقة و 4 سفن من نوع بشطاردة و القاليوتة. خرج على رأس هذا الأسطول في ماي 1552م من منطقة السويس و اجتازه باب المندب للولوج إلى المحيط الهندي. و تذكر في نفس السياق إحدى وثائق المحاسبة الخاصة بإيالة مصر، بأن بيري ريس قام بتجهيز و الخروج ب25 سفينة من السويس باتجاه جزيرة هرمز[20]. تقدم بيري ريس بالأسطول المذكور نحو ميناء عدن ثم انتقل الى كل من ميناء شحر و ميناء زوفار ليصل بعدها الى منطقة رأس الحد. في 10 أكتوبر من سنة 1552م (21 شوال 959ه) قام بيري ريس بإرسال إبنه محمد على رأس سفينة قاليوتة نحو البصرة بغرض مقابلة باي البصرة المدعو كوباد باشا ليعلمه عن المهمة التي كلف بها بيري ريس بالمحيط الهندي. في إطار هذه المهمة إنتقل بيري ريس نحو جزيرة هرمز و منها إلى جزر البحرين الذي قام بضمها تحت السلطنة العثمانية. باقتراب فصل الشتاء كان على بيري ريس الإختيار سواء الرجوع بالأسطول نحو البصرة، أو ترك 10 سفن من الأسطول هناك و الرجوع إلى منطقة السويس[21]. عقب نهاية فصل الشتاء، يقوم بيري ريس بالدخول بالأسطول

[18]BOA, KK, nr. 209, s. 98.

[19]Orhonlu, "Hint Kaptanlığı", s. 239.

[20]في هذا الدفتر للمحاسبة يذكر انه تم تجهيز في تلك السنة 5 سفن لحماية البحر الأبيض المتوسط، كما تم إنشاء 15 سفينة جديدة بهدف حمل الغلال و السلع التابعة للدولة :
TSMA, D. nr. 9720, s. 3.

[21]*Mühimme Defteri*, TSMK, Koğuşlar, nr. 888, vr. 487b-488b'den aktaran

إلى بحر عمان و يقوم بمحاصرة أهم القلع الإستراتيجية التي بقيت تحت أيدي البرتغاليين و هي مسقط و التي بعد أسبوع من محاصرتها إستطاع بيري ريس ضمها للحضيرة العثمانية و أسر قائدها البرتغالي خوان دي لزبوا و معه 128 بحار و جندي برتغالي تم استعمالهم في التجذيف داخل وحدات الأسطول العثماني[22]. لما وصلت أخبار هذا الإنتصار البحري، قام السلطان سليمان القانوني بإرسال فرمان إلى الأميرال بيري ريس يهنؤوه على هذا الفوز متمنيا أن "يكون وجهه دائما منور" مضيفا: "انك أعلم الناس بأحوال البحر و شؤونه و واحد من أهم خدامنا المقربين" و يضيف مذكرا إياه : "عليك بالإحتراس من مغبة فقدان الجنود أو قطع من سفن الأسطول العثماني و إذا اقتضى الأمر إعادة ترتيب الأسطول بمصر و التشاور مع والي البصرة كوباد باشا[23]. أمام هذا الوضع و خوفا من هجوم الأسطول العثماني، قام البرتغاليين بتقوية دفاعات أهم قلعة إستراتيجية لهم بهرمز و بنوا قلعتين جديدتين عند مدخل الميناء، الأولى سميت بقلعة سان خوان (Saint Jean) أو ما تعرف بقلعة جيلالي و القلعة الثانية المدعوة Fort Capital أو قلعة ميراني.

2.2.2- حصار هرمز

في 19سبتمبر 1552م (30 رمضان 959ه) تقدم بيري ريس على رأس لأسطول متكون من 24 سفينة من نوع قاديرقة و 4 سفن أخرى تحمل 850 جندي و قام بمحاصرة جزيرة هرمز التي كانت تحت الإحتلال البرتغالي و لكن رغم استمرار عملية القصف المدفعي و الهجوم للقوات العسكرية و ضم جزء هام من الجزيرة، فإن قوة الدفاع الذي أظهرها قائد الحامية البرتغالية المدعو دون ألفارو دي نورون حال دون دخول القوات العثمانية للقلاع الداخلية للجزيرة. و رغم استمرار مدة الحصار التي بدأت في 9 أكتوبر 1552 (20 شوال 959ه) لمدة عشرين يوما ظلت الجزيرة بيد البرتغاليين. فاتجه بيري ريس نحو خشم أو ما تعرف بالجزيرة الطويلة و

Orhonlu, *Hint Kaptanlığı*, s. 240-242.

[22]*Mühimme Defteri*, TSMK, Koğuşlar, nr. 888, vr. 487b.

[23]الحكم المرسل إلى قبودان المحيط الهندي، الباي بيري، ب27 سبتمبر 1552م مقابل 8 ذي القعدة 959ه :

Mühimme Defteri, TSMK, Koğuşlar, nr. 888, vr. 488b.

قام بضمها إلى جانب الجزر الصغيرة الأخرى بالمنطقة. الأكيد أن طول فترة الحصار و قوة الصراع مع الحامية البرتغالية أنهكت القوات العثمانية و نالت من عزيمتها لضم الجزيرة بأكملها و إتمام تلك الحملة بنجاح. بل اعتبر بيري ريس أن الإستمرار في محاصرة الجزيرة قد يترك الفرصة لوصول المدد البرتغالي و أسطول أقوى قد يكون سببا في انكسار السفن العثمانية بالمنطقة[24]. بعد أخذه القرار بالإنسحاب و في طريق للعودة نحو البصرة، قام بيري ريس بالإستلاء على جزيرة خشم و أخذ منها غنائم معتبرة. لكن سرعان ما بدأت الأخبار تنتشر في البصرة و في كل المنطقة أن بيري ريس تحصل على الذهب و المجوهرات في مقابل التوقف عن محاصرة هرمز و الإنسحاب نحو البصرة. قام والي البصرة كوباد باشا باستغلال هذه الوضعية و الذي كان في خصام معه، قام برفع الشكوى ضد بيري ريس إلى إسطنبول و اتهامه بالتهاون و أخذ الرشوة في تلك الحملة. و قد استغل المؤرخ جلال زاده هذه الحادثة و الذي كان معاصرا لبيري ريس، لنقل تلك الأخبار في كتابه معتبرا إياها بالحقيقة[25]. و لكن لم يطل الوقت لتظهر حقيقة الوقائع و أن تلك الإتهامات ضد بيري ريس كانت باطلة، بحيث و كما اعتقد بيري ريس وصل الأسطول البرتغالي و المدد نحو هرمز، زد على ذلك و حسب تصريحات أمير هرمز، السيد نور الدين، كان على بيري ريس و حسب الأمر الذي تلقاه أن ينتظر وصول المساعدات من البصرة قبل الشروع في محاصرة جزيرة هرمز من جديد. و لم تكن لديه الشجاعة للبقاء بمسقط التي كانت دون حماية. بالإضافة أن السفينة التي كانت تحمل البارود و الأسلحة له، غرقت بالقرب من خليج عدن.

3. نهاية بيري ريس

لقد رجح بيري ريس ترك معظم وحدات الأسطول بالبصرة خوفا من تهديد غلق لمضيق البصرة من قبل الأسطول البرتغالي، فقفل راجعا بثلاث سفن من نوع قاديرقة نحو منطقة السويس و في طريق عودته يفقد إحدى سفنه و يصل إلى

[24]Orhonlu, *Hint Kaptanlığı*, s. 243-244.
[25]Celālzāde Mustafā, *Tabakāt ül-Memālik ve Derecāt ül-Mesālik*/*Geschichte Sultan Süleymān Kānunīs von 1520 bis 1557*, vr. 482b.

السويس بسفينتين فقط[26]. و منها توجه إلى القاهرة عن طريق البر. هناك تم محاكمته على أساس تركه للأسطول مهملا بدون قائد بالبصرة و بأنه ترك الجيش بميدان المعركة و هرب[27]. عقب تلك المحاكمة يتم تولية سيد علي ريس أميرالا جديد على منطقة المحيط الهندي و تم تكليفه بجلب وحدات الأسطول العثماني المرابطة بالبصرة نحو مصر. زيادة على هذه الإتهامات لا بد من التذكير كذلك بتلك رسائل الشكايات التي قام بإرسالها والي البصرة المذكور كوباد باشا ضد بيري ريس. أمام هذه الوضعية قام السلطان سليمان القانوني الذي كان متواجد بحلب بغرض التحضير لحملته ضد إيران، بإعطاء الأوامر لبيلرباي مصر المدعو سميز علي باشا و بموافقة الديوان بقطع رأس بيري ريس في نوفمبر أو ديسمبر من عام 1553م[28].

في الحقيقة في التاريخ المذكور كان والي مصر سميز علي باشا قد تم عزله و تم تعين في مكانه دوكاغين محمد باشا في 6 نوفمبر 1553م، بعدما كان يشغل منصب أمير سنجاق حلب. و عليه لا يمكن الجزم إذا كان قد استلم مهامه السياسية فعلا في ذلك التاريخ. و عليه فإن الأخبار و المعلومات التي كانت متداولة بإسطنبول حول تاريخ إعدام بيري ريس غير صحيحة. وثائق الأرشيف بالبندقية و الفاتيكان حول الموضوع فهي واضحة و صريحة في نفس الوقت. فحسب المعلومات التي ادلى بها قنصل البندقية بالإسكندرية المدعو دنيال بربريغو -Daniele Barbarigo- (1550-1553)، يذكر أن سبب إعدام بيري ريس يرجع إلى تركه للأسطول العثماني بدون قيادة

---

[26] لا يعرف أين غرقت سفينة بيري ريس. حسب الأخبار الواردة في سنجالة أن بيري ريس وصل إلى شحره يوم 5 أفريل 1553م (20 ربيع الآخر 960هـ) و معه سفينتين من نوع قاديرقة فقط:
Bâ Sencele, *Târîhü'ş-Şihr*, s. 106.

[27] Nitekim Celalzâde gibi, Hocazâde de *İbtihâcü't-tevârih*'te bu husus için "hıyâneti ma'lûm ve etdüği fesâd mecârî-i etvârından mefhûm olmağile siyâset olunup cezâsın bulmuş idi" demektedir.
(بحيث في نفس المعني المذكور من طرف جلال زاده، يذكر خوجة زاده في "ابتهاج التواريخ" بان الخيانة اصبحت واضحة وبعد التأكد من ذلك الفساد السياسي لقي الجزاء المناسب لذلك):
Hoca-zâde Mehmed Efendi'nin İbtihâcü't-tevârîh'i, Haz. A. Akgün, İ. Ü. Sosyal Bilimler Enstitüsü, Basılmamış Doktora Tezi, İstanbul 1995, s. 284.

[28] حسب تاريخ تعين السيد علي ريس في 25 ذي الحجة 960هـ، أي 2 ديسمبر 1553م، كأميرال للمحيط الهندي، يثبت بشكل قاطع أن في هذا التاريخ كان قد تم فعلا إعدام بيري ريس:
C. Orhonlu, "Seydi Ali Reis", *TED*, sayı 1, s. 42.

بالبصرة[29]. بينما و حسب وثائق الأرشيف بالفاتيكان و مؤرخة في 15 نوفمبر 1553م و المكتوبة و المرسلة من إسطنبول بتاريخ 16 ديسمبر 1553م نحو البندقية و منها إلى روما، بيري ريس كان على رأس أسطول يتكون من 50 سفينة بالبحر الأحمر و لكن بسبب قلة المؤونة و العتاد إنسحب من حصار جزيرة هرمز و سبب له هذا القرار إتهامه بالإهمال و التهاون في أداء مسؤوليته، فأمر السلطان العثماني والي مصر آنذاك بقطع رأسه[30].

بعد تنفيذ حكم الإعدام يتم مصادرة كل أملاك و أموال بيري ريس و الذي قام بجلبها إلى حلب، سنجاق باي مصر المتقاعد إبراهيم باي في 26 مارس 1554م و الذي تم مكافئته لأدائه لهذه المهمة على أحسن وجه بتسليمه 30.000 أقجه حسب معلومات دفتر المحاسبة الخاصة به[31].

هنا لا بد من القول أن المتسبب الرئيسي في تلك النهاية المأسوية للأميرال بيري ريس كان ورائها والي البصرة كوباد باشا الذي تم عزله في شهر فيفري 1554م (ربيع الأول 961هـ) مما يدفعنا للتفكير و الدفاع عن أحقية بيري ريس بالتخلي عن مواصلة الحملة ضد جزيرة هرمز للأسباب المذكورة[32].

4. نظرة تقييمية لخريطة بيري ريس حول "العالم الجديد 1513"

في الحقيقة ترجع شهرة بيري ريس لقيامه برسم خريطتين حول "العالم الجديد"[33] أو ما سيعرف لاحقا ب"القارة الأمريكية". الأولى تم رسمها سنة 1513

---

[29]**PEDANI (Maria Pia)**: "Reports of Venetian Consuls in Alexandria (1554-1664)", Alexandrie Ottomane 1 (ed. M. Tuchscherer-M. P. Pedani), *Études Alexandrines*, sayı 19, 2011, s. 54, 76.

[30]*Nunziature di Venezia*, Volume sesta (1552-1554), A Cura di Franco Gaeta, Roma, 1967, s. 297.

[31]إبراهيم باي الذي كان واليا على مصر و يتقاضى 200.000 أقجه، فقد تم منحه مكافئة مالية ب30.000 أقجه عنما قام بجلب الأموال وتركة بيري ريس نحو حلب:

BOA, KK, nr.211, s. 35.

[32]**BOSTAN (İdris)**: "Piri Reis", *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, c. 34, s. 283-285.

[33]في 1554م عندما كتب السيد علي ريس مؤلفه *كتاب المحيط* و في حديثه عن الكشوفات إستعمل مصطلح "العالم الجديد" أو "المملكة الجديدة" للتعبير عن "أمريكا":

TSMK, Revan, 1643.

في سنة 1560 الحاج أحمد التونسي استعمل مصطلح "العالم الجديد" كذلك:

(919هـ) و الثانية في سنة 1528 (938هـ)، زيادة على مؤلفه "كتاب البحرية"[34]الذي يعتبر أهم دليل إسلامي-عثماني حول علم للإبحار بالمتوسط. إن الإهتمام الكبير الذي أظهره بيري ريس لحركات الكشوفات الكبرى في تلك الفترة، يجعلنا نقر بأنه كان فعلا أحد أهم الجغرافيين و أهم رسام للخرائط في العالم الإسلامي في فترة القرن 16م. لعل سيكون صائبا أن نطلق على أول خريطة قام برسمها ب"خريطة العالم الجديد" لكون أن بيري ريس لما ضم تلك المعلومات الهامة فوق تلك الخريطة و التي ضمها في مؤلفه "كتاب البحرية" لم يستعمل أبدا مصطلح "العالم الجديد" بل اكتفى فقط بذكر كلمة "خريطة"، كذلك لما قام برسم تلك الخريطة في سنة 1513م و المعروفة ب"خريطة بيري ريس حول العالم الجديد"[35]. ضم فيها كل من دولة إسبانيا و

ŞEHSUVAROĞLU (Bedi N): "Kanuni Devrinde Yazılmış ve Şimdiye Kadar Bilinmeyen Bir Coğrafya Kitabı", *Kanuni Armağanı*, Ankara, 1970, s. 209, 211.

في سنة 1567م علي مجر ريس استعمل إفادة "ولاية العالم الجديد" كذلك:

TSMK, Hazine, 644.

الأمير محمد السعود في سنة 1580م عندما تعرض إلى مصطلح "أميركا" و هو وارد في مؤلفه حول تاريخ الهند الغربية "إستعمل كذلك مصطلح "العالم الجديد"، عن:

GOODRICH (T. D): *The Ottoman Turks and the New World*, Wiesbaden, 1990.

تم استعمال مصطلح "العالم الجديد". كذلك يعرف ان كاتب جلبي قد استعمل تعبير "العالم الجديد" للدلالة عن أمريكا:

Tuhfetü'l-kibâr fî esfâri'l-bihâr, haz. İ. Bostan, Ankara 2008, s. 61, 94; *Cihannümâ*, Kostantınyye, 1145, (Tıpkıbasım, İstanbul, 2008, s. 104-115).

[34] يوجد عدد كبير من المؤلفات و الأبحاث حول خرائط و أعمال بيري ريس سواء باللغة التركية أو الأجنبية. أنظر حول الموضوع:

SOUČEK (Svat): *Piri Reis and Turkish Mapmaking after Colombus, The Khalili Portolan Atlas*, New York, 1996.

حول الخرائط المستعملة بكتاب البحرية و النسخ المتعددة لهذا المؤلف، أنظر:

GOODRICH (Thomas): "The 5658 Maps of the Kitab-ı Bahriye of Piri Reis", *Uluslararası Piri Reis Sempozyumu Tebliğler Kitabı 27-29 Eylül 2004*, İstanbul ts., s. 6/93-113.

[35] Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi (TSMK), Revan mük. 1633.

حول تاريخ رسم الخريطة فقد تم في محرم 919هـ المقابل لشهر مارس 1513م. لقراءة مفتاح الخريطة و قراءتها أنظر:

Pîrî Reis Haritası Hakkında İzahname, Ankara, 1935.

للاطلاع عن النسخة الجديدة حول خريطة بيري ريس أنظر:

SARICAOĞLU (Fikret): *Pîrî Reîs'in Dünya Haritası 1513*, Ankara, 2014.

البرتغال و السواحل الغربية من إفريقيا و القسم الأوسط و السواحل الشرقية من أمريكا اللاتينية، مما يبين أن اهتمام بيري ريس كان منصب حول عالم المحيط الأطلسي و القسم الجنوبي منه على الخصوص. في الحقيقة، لقد قام بيري ريس بتوضيح كل مسارات الكشوفات البحرية التي تمت بالعالم الجديد على تلك الخريطة التي رسمها بحدودها و ضمها معلومات كثيرة و هامة، مما يبين أن اهتمامه لم يكن منصب على رسم الخريطة بالتفصيل فقط بل ضم و كتابة كل المعلومات و الأخبار عن التطورات و المستجدات التي صاحبت عملية الكشوفات الجغرافية بالمحيط الأطلسي و العالم الجديد. و عليه القول بأن بيري ريس قام برسم "خريطة للعالم" ليس له أساس من الصحة، خاصة أننا نعرف أن تلك المعلومات و الخصوصيات حول تلك المنطقة من "العالم الجديد و المحيط الأطلسي" كانت معروفة و متداولة بين المختصين و البحارة في تلك الفترة. و عليه الإستمرار بالقول بأن الجزء الذي وصلنا من خريطته و المتعلق بتلك المعلومات الهامة حول "العالم الجديد" تؤكد أن الجزء المتبقي و المفقود من الخريطة كان يشكل خريطة العالم ككل يبقى ادعاء فقط و ليس له علاقة مع الحقيقة و البحث التاريخي. لعل مما يزيد من صحة هذا الطرح لما رسم بيري ريس خريطته الثانية في 1528م و التي تضم القسم الشمالي من قارة أمريكا، قام بتعديل و إضافة أسماء الأعلام عليها[36]. مما يؤكد أنه لم يقوم برسم منطقة شمال القارة الأمريكية من قبل و لكونه قام بتعديل و ضم معلومات جغرافية حول المنطقة لاحقا. زد على ذلك عندما قام بذكر الأخبار و المعلومات في الخريطة حول السواحل الجنوبية الشرقية من العالم الجديد، ذكرها في مؤلفه "كتاب البحرية" على أساس كونها جزر تابعة لبحر الصين، و بالتالي لم يعد هناك الحاجة للتوضيح أكثر حول هذا الموضوع و إشكاليته[37].

كذلك مسألة فقدان و ضياع القسم الأيمن من خريطته الأولى حول "العالم الجديد" يجعلونا نفترض احتمال تمزقها أو تلف الذي أصاب الجلد الذي رسمت

---

[36]TSMK, Hazine 1824.

حول تقيم الخريطة أنظر:

TOK (Buğser): "Piri Reis'in 1528 Tarihli Bölgesel Haritası", *Uluslararası Piri Reis Sempozyumu Tebliğler Kitabı 27-29 Eylül 2004*, İstanbul ts., s. 5/39-49.

[37]*Kitabı Bahriye*, TTK, s. 52-56.

عليه الخريطة بسبب الرطوبة أو راجع لأسباب أخرى. هذا و حتى و أن افترضنا وجود الجزء الثاني من الخريطة المفقود، فإن احتمال رسم و وجود خريطة كبيرة بتلك القياسات على ظهر قطعة جلد ضعيف جدا و لا يعرف حتى إلى يومنا هذا وجود لرسم خريطة للعالم بتلك القياسات و الحجم الكبيرين. كذلك بيري ريس لم يرسم مناطق شاسعة فوق ظهر قطعة جلد بل كان يفضل رسم خرائط جزئية لمناطق محدودة و مستقلة عن بعضها البعض. لعل تصبح الأمور أكثر وضوحا عند المقارنة و الإستنباط من تلك الخرائط الجغرافية الإسلامية الأخرى كخريطة كل من مرسيالى إبراهيم، الحاج أبو الحسن، الأطلس الهمايوني، أطلس علي مجر ريس و أطلس السيد نوح و الذين ينتمون إلى جماعة رسامي الخرائط الجغرافية و البحرية العثمانيين. و لدى مقارنتها بتلك الخرائط الموجودة و المرسومة من طرف الأوربيين، نجدها كلها خرائط تخص أقساما أو مناطق من العالم الجغرافي و ليست خرائط عالمية شاملة. للتذكير أنه لم يكن هناك موجود قالب موحد للخرائط المرسومة على قطع الجلود المختلفة و لا وجود للإطار الخارجي لتلك الخرائط. خاصة إذا عرفنا بأن بيري ريس كان بحارا قبل أن يكون جغرافي أو متخصص في رسم الخرائط الجغرافية و البحرية على الرغم أن خريطته الثانية التي قام برسمها بعد 15 سنة من رسم خريطته الأولى و التي ضم فيها المحيط الأطلسي و شمال و وسط القارة الأمريكية كانت هي الأجمل و أكثر دقة رغم غياب ذلك الإطار الخارجي للخريطة و الذي تم إضافته لاحقا من قبل النقاشين و الزخرفة بالقصر العثماني.

كذلك لابد من الإقرار أنه عندما قام بيري ريس برسم أول خريطة "للعالم الجديد" في سنة 1513م إعتمد بشكل كبير على الخرائط الجغرافية الإسبانية و البرتغالية على حد سواء، زيادة على تلك الخرائط المعروفة و التي وضعها الجغرافيين المسلمين من قبل. في هذا الإطار و أثناء تصميمه لرسم تلك الخريطة، يذكر في مؤلفه "كتاب البحرية" أنه استفاد و اعتمد على أكثر من عشرين خريطة و التي كانت تعرف بخرائط العالم أو Mappamundo و من بين أهمها خريطة الجغرافي المشهور بطلميوس و ما كان يعرف بمصطلح "الخرائط الجعفرية"[38]. و التي تضم ثمانية

[38] في كتاب الجغرافي العثماني عاشق محمد، في مؤلفه مناظر العوالم ,M. Ak, Ankara 2007, II 276 و في بحثه عن كتاب بطلميوس يذكر مصطلح "جعفريا" و هو تقريبا نفس المصطلح المذكور

خرائط إسلامية باللغة العربية و تضم خريطة الهند و اعتماده كذلك على أربعة خرائط برتغالية حديثة تضم بحار بلاد السند و الهند و الصين، و كذا اعتماده و استفادته من خريطة كريستوف كولومبس حول "العالم الجديد". كذلك يشير الى اعتماده في مؤلفه "كتاب البحرية" على كتاب "جغرافية بطلميوس" الذي قام بترجمتها برطولومي حسب ما أشار إليه في كتاب البحرية و إن كان لا بد هنا من ذكر اسمه كاملا و هو برطولومي دالى سوونتى[39].

الخاتمة

في الأخير لابد من القول أن خريطة بيري ريس تبقى إلى يومنا هذا من أهم و أقدم الخرائط حول العالم الجديد أو "القارة الامريكية" و التي عاصرت فترة الكشوفات الجغرافية الكبرى الإسبانية و البرتغالية بالمحيط الأطلسي و تلك الخرائط الأوربية التي رسمت في تلك الفترة الهامة. كذلك يرجع الفضل لبيري ريس أنه كان أول من قام بالتعريف بتلك الكشوفات الجغرافية و العالم الجديد في مجال الفضاء العثماني و عمل على جلب أنظار الدولة العثمانية حول تلك الكشوفات و الإهتمام بعالم المحيط الاطلسي. أما فيما يخص حركة الكشوفات في مجال المحيط الهندي، فيمكن القول أن السيد علي ريس بدء من حيث توقف بيري ريس و استكمل مشروعه حول الجغرافيا و علم الخرائط و الإبحار الذي ضمها في العديد من رسائله حول هذا الموضوع الهام.

المصادر و المراجع

الأرشيف العثماني

-BOA, Kamil Kepeci, nr. 62, 209, 211, 528.

-BOA, Bâb-ı Defteri, Büyük Ruznamçe Kalemi (D. BRZ). nr. 20613.

-BOA, D. Müteferrik, nr. 36806.

من قبل بيري ريس "جعفرية" و التي تحولت فيما بعد و انتشرت تحت اسم "الجغرافيا".

[39]**McINTOSH (G. C.)**: *The Piri Reis Map of 1513*, Atina, 2000, s. 73.

مكتبة و أرشيف قصر طوبكابو

-Ali Macar Reis, Atlas, TSMK, Hazine, 644.

-*Mühimme Defteri*, TSMK, Koğuşlar, nr. 888.

-Seydi Ali Reis, *Kitâbü'l-muhît,* TSMK, Revan, nr. 1643.

-Topkapı Sarayı Müzesi Arşivi, Defter. nr. 9720.

المصادر المطبوعة

-Âşık Mehmed, *Menâzırü'l-avâlim*, (haz. M. Ak), Ankara, 2007, II.

-Bâ Mahrama *in* SERJEANT (R. B.): *The Portuguese off the South Arabian Coast*, Hadrami Chronicles, Oxford, 1963.

-Bâ Sencele Ali b. Süleyman et-Tavlakî : *Târîhü'ş-Şihr el-müsemmâ el-ıkdü's-semînü'l-fâhir fî Târîhi'l-âşir*, (tahk. Abdullah Muhammed el-Habeşî), San'a, 2006.

-Celālzāde Mustafā, *Tabakāt ül-Memālik ve Derecāt ül-Mesālik*/*Geschichte Sultan Süleymān Kānunīs von 1520 bis 1557*, S.D.

-Emir Mehmed es-Suûd, *Târih-i Hind-i Garbî*, (yay. T. D. Goodrich), *The Ottoman Turks and the New World*, Wiesbaden, 1990.

-*Hoca-zâde Mehmed Efendi'nin İbtihâcü't-tevârîh'i*, (haz. A. Akgün), İ. Ü. Sosyal Bilimler Enstitüsü, Basılmamış Doktora Tezi, İstanbul, 1995.

-Kâtib Çelebi, *Cihannümâ*, Kostantıniyye 1145, Tıpkıbasım, İstanbul, 2008.

-Kâtib Çelebi, *Tuhfetü'l-kibâr fî esfâri'l-bihâr* (haz. İ. Bostan), Ankara, 2008.

-Matrakçı Nasuh, *Süleymannâme*, Arkeoloji Kütüphanesi., nr. 379.

-Matrakçı Nasuh, *Tevârih-i Âl-i Osman*, (Rüstem Paşa Tarihi), İ.Ü. Nadir Eserler Kütüphanesi, TY. 2438.

-*Nunziature di Venezia*, Volume sesta (1552-1554), A Cura di Franco Gaeta, Roma, 1967.

-*Pîrî Reis Haritası Hakkında İzahname*, Ankara, 1935.

-Piri Reis, *Kitabı Bahriye*, (haz. F. Kurdoğlu-H. Alpagot), İstanbul, 1935.

-*Topkapı Sarayı Arşivi H. 951-952 Tarihli ve E-12321 Numaralı*.

-*Mühimme Defteri*, (haz. H. Sahillioğlu), İstanbul, 2002.

المراجع

-BOSTAN (İdris) : « Kemal Reis », *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, 25, Ankara, 2022, 226-227.

-BOSTAN (İdris) : « Piri Reis », *Diyanet İslam Ansiklopedisi*, 34, Ankara, 2022, 283-285.

-GOODRICH (Thomas) : « The 5658 Maps of the Kitab-ı Bahriye of Piri Reis », *Uluslararası Piri Reis Sempozyumu Tebliğler Kitabı 27-29 Eylül 2004*, İstanbul ts., 6/93-113.

-İNALCIK (Halil) : *Sources and Studies on the Ottoman Black Sea I, The Customs Registers of Caffa, 1487-1490*, ed. V. Ostapchuk, Cambridge Mass., 1996.

-McINTOSH (G. C.) : *The Piri Reis Map of 1513*, Atina, 2000.

-ORHONLU (Cengiz) : « Hint Kaptanlığı ve Piri Reis », *Belleten*, 134, 1970, 235-254.

-ORHONLU (Cengiz) : « Seydi Ali Reis », *Tarih Enstitüsü Dergisi*, 1, Ekim 1970, 39-56.

-ÖZBARAN (Salih) : *Umman'da Kapışan İmparatorluklar, Osmanlı ve Portekiz*, İstanbul, 2013.

-PEDANI (Maria Pia) : « Reports of Venetian Consuls in Alexandria (1554-1664) », Alexandrie Ottomane 1 (ed. M. Tuchscherer-M. P. Pedani), *Études Alexandrines*, 19, 2011, 46-155.

-SARICAOĞLU (Fikret) : *Pîrî Reîs'den Örfî Paşa'ya Osmanlı Tarihî Haritaları ve Tarihî Coğrafya Eserleri*, İstanbul, 2015.

-SOUČEK (Svat) : *Piri Reis and Turkish Mapmaking after Colombus, The Khalili Portolan Atlas*, New York, 1996.

-ŞEHSUVAROĞLU (Bedi N.) : « Kanuni Devrinde Yazılmış ve Şimdiye Kadar Bilinmeyen Bir Coğrafya Kitabı », *Kanuni Armağanı*, Ankara, 1970.

-TOK (Buğser) : « Piri Reis'in 1528 Tarihli Bölgesel Haritası », *Uluslararası Piri Reis Sempozyumu Tebliğler Kitabı 27-29 Eylül 2004*, İstanbul ts., 5/39-49.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية و البحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 2 ص ص 31-48
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/11/26) تاريخ القبول (2022/12/7) تاريخ النشر (2022/12/29)

حملة الأميرال أندريا دوريا لغزو شرشال سنة 1531
Admiral Andrea Doria's campaign to conquer Cherchell in 1531

بحيري يامنة♦
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
البريد الإلكتروني: histoireyamna@gmail.com

ملخص:

لقد كان إعلان إنضمام مدينة الجزائر إلى الخلافة الإسلامية العثمانية و وصول الخطر الإسلامي العثماني إلى هذا الجزء الغربي من البحر المتوسط، سببا في زيادة التّكالب الإسباني و الأوربي على هذه السواحل، و الرغبة الجامحة لتحطيم الجزائر وغزوها.

كانت مدينة شرشال تعد مركزا من أكبر مراكز الدولة الجزائرية الحديثة، فقد عمل عروج على تحصينها لأهمية موقعها و شيّد فيها قلعة قوية، ثم إن شرشال بمركزها الطبيعي الممتاز الذي جعلها تتوفر على موقع إستراتيجي هام، أصبحت تعد من أهم المراكز التي يزخر بها الساحل الجزائري الإسلامي، مما جعلها تكون في مقدمة الأطماع الإسبانية كمصدر تهديد مباشر لمدينة الجزائر.

شهدت شرشال عدّة حملات صليبية، أهمها تلك التي وقعت سنة 1531م بقيادة الأميرال أندريا دوريا بتكليف من الملك شارلكان، لكن أخبار إنكسارها قد دوّت في كل الدوائر المسيحية، فما هي ظروف و أسباب قيام هذه الحملة؟ و كيف دارت أهم أحداثها؟ وهل كان لفشلها تأثيرا مباشرا لتجهيز حملة حاسمة للقضاء على القوة العثمانية الناشئة في الجزائر؟

الكلمات المفتاحية:
حملة ؛ أندريا دوريا ؛ شرشال ؛ شارلكان ؛ 1531م.

♦ المؤلفة المرسلة

Abstract:

The announcement of the city of Algiers' incorporation to the Ottoman Islamic Caliphate and the arrival of the Ottoman Islamic threat to this western part of the Mediterranean Sea, caused an increase in the Spanish and European coveting on these coasts, and the unbridled desire to destroy and invade Algeria.

The city of Cherchell was considered one of the largest centers of the modern Algerian state. 'Arrûj worked to fortify it due to the importance of its location and built a strong castle in it. Then, Cherchell, as an excellent natural position which gave it an important strategic location, has become one of the most important poles that abound in the Algerian Islamic coast. This made it to be at the forefront of Spanish ambitions as a source of direct threat to the city of Algiers.

Cherchell witnessed several crusades, the most important of which took place in the year 1531, led by Admiral Andrea Doria, commissioned by King Charles V, but the news of its defeat resounded in all Christian circles. So, what are the circumstances and the reasons for the outbreak of this campaign? And how did its most important events take place? And did its failure have a direct impact on preparing a decisive campaign to eliminate the nascent Ottoman power in Algeria?

Keywords:

Military campaign; Andrea Doria; Cherchell; Charles V; 1531.

مقدمة:

لقد كان لإلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية و الإنتصار الذي حقّقه خير الدين إثر تحريره لصخرة البنيون من الوجود الإسباني و الهجومات المتكررة للبحّارة الجزائريين على السواحل التابعة لإسبانيا، كبير الأثر في ردّة فعل الإسبان، بتجهيزهم لحملة يستهدفون بها المناطق الساحلية الجزائرية.

غير أن أخبار تحرّك الأسطول المسيحي قد وصلت إلى مدينة الجزائر فأعدّ خير الدين العدّة لمواجهته، أمر جعل أندريا دوريا يختار مدينة شرشال هدفا لحملته، علما أنّ هذه المدينة كانت تعد مركزا مهمّا من مراكز الدولة الجزائرية بموقعها

الإستراتيجي الهام، مما جعلها تكون في مقدمة الأطماع الإسبانية كمصدر تهديد مباشر لمدينة الجزائر.

و عليه فقد تعرّضت شرشال لحملة عسكرية قادها الأميرال الجنوي أندريا دوريا سنة 1531م بتكليف من الإمبراطور شارلكان، فما هي ظروف و أسباب قيام هذه الحملة؟ و كيف دارت أهم أحداثها؟ و هل نجحت في تحقيق حلم أندريا دوريا بردّ الإعتبار إلى العرش الإسباني و محو هزائم أسطوله المتكررة؟ أم كانت وصمة عار أخرى يرسمها الجيش الإسلامي الجزائري على جبين الإمبراطور شارلكان؟

1. التواجد العثماني بشرشال:

يعود التواجد العثماني بشرشال إلى القرصان قارة حسن الذي كان قد سيطر عليها بعد انفصاله مع مجموعة من الأتراك عن جند القائد عروج، حيث كان غازيا معه في بداية الأمر فاستطاع قارة حسن أن يدخل شرشال، فبايعه سكانها الأندلسيون الذين كانوا قد هاجروا إليها من غرناطة وبلنسية و أراغونة، و عينوه قائدا على هذا البلد[1].

وفي سنة 1516م إتجه عروج برّا رفقة 800 تركي إلى شرشال التي كانت تحوي 500 ساكن، و حتى يتمكن من أخذها من قارة حسن دخلها برا و بحرا، فاستسلم هذا الأخير و ذمج جيشه في جيش عروج، بعدها أقام القائد الجديد حامية في المدينة تتكون من حوالي 100 جندي ثم سار نحو مدينة الجزائر[2].

و بقدوم العثمانيين تدخل المنطقة تحت حماية عروج، الذي أمر بتشييد القلعة و الميناء في 924هـ-1518م[3]، و عندما خلفه خير الدين عيّن عليها قائدا

---

[1] **HAEDO (Diego de)** : *Histoire des Rois d'Alger*, Alger, Editions grand-Alger-livres, 2004, p. 26.

[2] **عباد (صالح)** : *الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830* ، الجزائر، دار هومة، 2005، ص 46.

[3] برج شرشال أو ما يعرف ببرج بابا عروج يقع في الجهة الشمالية لحي عين قصيبة شمال غرب الساحة الرومانية، يحده من الشمال البحر و من الغرب و الجنوب مجموعة سكنية، تم بناؤه على يد "محمود بن فارس الزكي" بأمر من الأمير عروج سنة 924 هـ-1518م بمساهمة الجند الأتراك و الأهالي، كان له دور دفاعي في صد الخطر من الناحية الشمالية (البحر)، إضافة للتحصن فيه أثناء المعارك مثل حملة أندريا دوريا. تم تدمير هذا المرفأ في سنة 1860م. الكتابة العربية التي وضعت في

يساعده مجلس من 10 أعيان، مهمته الحفاظ على الحكم العثماني فيها وقمع قبائل بني مناصر المناهضة له[4]، وبذلك تصبح شرشال مقاطعة من مقاطعات دار السلطان[5].

2. شرشال مقاطعة عثمانية:

كانت مدينة شرشال تعد مركزا من مراكز الدولة الجزائرية الحديثة كما ذكرناه سابقا، فقد عمل عروج على تحصينها لأهمية موقعها و شيّد فيها قلعة قوية، و أقام فيها مصنع لتأمين متطلبات الجيش العثماني لإمداده بالمواد التموينية، كما أقام فيها مصنع للأخشاب يعتمد على غابات الونشريس و الغابات الكثيفة المجاورة[6].

فمن المعالم الإسلامية التي تعود إلى القرن 16م، المسجد الذي بناه أهل المدينة و هو من أعظم المساجد و أجملها[7]، و مجموعة من المنازل تعود لهذه الفترة[8].

مدخله موجودة اليوم في متحف شرشال: "بسم الله الرحمان الرحيم/صلى الله على سيدنا محمد وآله/هذا برج شرشال أنشأه القايد محمود/بن فارس الزكي في خلافة الأمير القائم بأمر الله/المجاهد في سبيل الله أروج بن يعقوب بلند نما/بتاريخ أربع وعشرين وتسع مائة"، أنظر:
COLIN (Gabriel) : *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie. I-Département d'Alger*, Paris, Leroux, 1901, p. 11-13.

[4] **GSELL (Stéphane)** : *Cherchell antique, Iol-Caesarea*, Alger, 1952, p. 31.

[5] طريق دار السلطان الذي يربط مدينة الجزائر بمدينة شرشال يساير طريق القليعة و بعد أن يجتاز مدينة القليعة، يسلك المرتفعات الساحلية القريبة من البحر حتى وادي الناظور ثم سفوح جبل شنوة الجنوبية فوادي الهاشم فشرشال، و من شرشال يمكن الوصول عن طريق ساحل البحر إلى مدينة تنس، أنظر **سعيدوني (ناصر الدين)** : "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، عدد 21، 2000، ص 75.

[6] **المدني (أحمد توفيق)** : *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492-1792م*، ط 1، الجزائر، دار البصائر، 2007، ص 204.

[7] مسجد مئة عرسة، حولته فرنسا أثناء الإحتلال إلى مستشفى. بعد الإستقلال أعيدت له وظيفته كمسجد بعد ترميمه. يعد من أهم الآثار الإسلامية الشاهدة على فترة القرن 16م، حيث وصفه هاينريش فون مالتسان، أحد الرحالة الألمان: "بناية المسجد القديم رائعة إلى أبعد حد، فصحونه الثلاثة تقوم على مائة عمود، و دعائمه لا تخلو من قيمة فنية، إلا أن معبد الإسلام هذا قد حول- للأسف الشديد- إلى مستشفى عسكري". أنظر **فون مالتسان (هاينريش)** : *ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا*، ترجمة: أبو العيد دودو، ج 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1973، ص

ثم إن شرشال بمركزها الطبيعي الممتاز الذي جعلها تتوفر على موقع إستراتيجي هام، فهي تقع فيما بين مدينة الجزائر (120 كلم غربها) و بين مدينة وهران، بالإضافة إلى أنها قريبة من جزر الباليار و إسبانيا، فالوصول إليهم لا يتطلب سوى 20 ساعة[9].

أصبحت بذلك تعدّ من أهم المراكز التي يزخر بها الساحل الجزائري، مما جعلها تكون في مقدمة الأطماع الإسبانية.

3. ظروف و أسباب قيام الحملة:

لقد كانت الهزيمة التي تكبّدتها القوات الإسبانية في مدينة الجزائر وصمة عار على جبين الإمبراطور شارلكان[10]، و ذلك بتدمير حصن صخرة البنيون[11] و تحريره من

.163

[8] حي عين قصيبة يقع جنوب الطريق الرئيسية في الجزء القديم للمدينة. يعود تأسيس هذه المباني إلى القرن 16م، حيث وجدنا بمركز الأرشيف الوطني لبئر خادم، وثائق المحكمة الشرعية بشرشال تعود إلى القرن 16م تذكر هذا الحي. أنظر:

BENSEDDIK (N.), **FERDI (S.)**, **LEVEAU (Ph.)** : *Cherchell*, Alger, Ministère de la Culture, Direction des Musées, de l'Archéologie et des Monuments et Sites Historiques, 1983, p. 14.

[9] **HAEDO (Diego de)** : *Op. cit.*, p. 26.

[10] شارلكان (Charles Quint) أو شارل الخامس: ولد سنة 1500م و ورث ملك إسبانيا عن والدته جان ابنة فرديناند و إيزابيلا، و انتخب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، و ملك عدة دول أخرى. قضى أيامه في محاربة فرانسوا الأوّل و حارب خير الدين باشا أمير البحر الشهير بباربا روس، و نظّم حملة للإستيلاء على مدينة الجزائر لكنه لم يفلح، تنازل عن ملك إسبانيا لإبنه فيليب و عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة لأخيه فرديناند، و اعتزل في أحد الأديرة حتى توفي سنة 1558م. أنظر **سعيود(إبراهيم)** : "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا"، *مجلة الواحات للبحوث و الدراسات*، عدد 11، 2011، ص 161.

[11] لقد اقتحم خير الدين الحصن الإسباني الموجود أمام المدينة و ضربه بالقنابل و استولى عليه و على ثمانية مراكب حربية و دمّر الحصن و طرد الإسبان منه، و كان ذلك في رمضان عام 935هـ الموافق لـ21 ماي 1529م، و على أنقاضه بنى رصيفا يربط بين الجزر الأربع و المدينة طوله 200 متر و عرضه 25 مترا و علوه 4 أمتار، كما بنى بحجارته جسر باب الجزيرة أحد أبواب المدينة. أنظر **بن أشنهو (عبد الحميد بن أبي زيان)** : *دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر*، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 1972، ص 127-126 و أنظر:

الوجود الإسباني و القضاء على رجال حاميته من طرف خير الدين، بالإضافة إلى تمكّن هذا الأخير من الإستيلاء على السفن التسعة المحمّلة بالمؤونة و التجهيزات العسكرية التي جاءت لنجدة هذا الحصن[12].

وعلى إثر ذلك صمّم الإمبراطور شارلكان على الثّأر من هذه القوة الإسلامية الفتية بتعبئة حملة جديدة و إرسالها لتحطيم قوّة خير الدين[13]. علما أنّ كثرة الهجمات التي كان يقوم بها البحّارة الجزائريون و الأتراك على سواحل إسبانيا و إيطاليا و جزر الباليار و على المواقع الغربية للمتوسط، كانت دافعا لشنّ هذه الحملة[14].

فبعد إنهيار قلعة البنيون و طرد الإسبان منها و الإنتصارات التي حقّقها البحّارة الأتراك مثل الرّيس أيدن و الرّيس صالح في سنة 1529م، عمّ الغضب و الهيجان مختلف المناطق الإسبانية، فاندفع أهالي السواحل بشكل دائم و مستمر على المجلس العالي للدولة الإسبانية يشكون أوضاعهم و ما يعانونه من رعب و خوف من جرّاء هذه الهجمات عليهم، و طالبوا بإنقاذهم و تخليصهم منها، و نزولا عند طلب الأهالي و إلحاحهم قرّر المجلس الملكي غزو الجزائر، و وافق الملك على القرار و أن تكون سنة 1530م سنة الغزو، و لقد اختار الملك الإسباني هذه السنة لشنّ الهجوم على الجزائر لأنه كان قد وقّع في صيف سنة 1529م صلحا مع فرنسا[15]، و قد ارتاح الفرنسيون كثيرا لقيام شارلكان بغزو الجزائر، و تأييدا لذلك شاركوا بعشرين قادرغة[16].

GRAMMONT (H.D. de): *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris, Ernest Leroux, 1887, p. 35.

[12] **بربروس (خير الدين)** : *مذكـرات خير الدين بربروس*، ترجمة: محمد دراج، ط 1، الجزائر، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، 2010، ص 138.

[13] **المدني (أحمد توفيق)** : المرجع السابق، ص 303-304.

[14] **بربروس (خير الدين)** : المرجع السابق، ص 139-141.

[15] صلح كامبري 1529م: لقد كانت الهزائم المتتالية التي تكبّدتها فرنسا على يد الإمبراطور شارل الخامس في الحروب الإيطالية من بين أهم الأسباب لعقد الصلح بين الدولتين في كامبري (3 أوت 1529م)، و بمقتضى هذا الصلح الذي دام سبع سنوات إستعاد ملك فرنسا فرانسوا الأول بعض ما فقده بموجب معاهدة مدريد 1526م، و لكنه تنازل نهائيا عن كل ما يدعيه من حقوق في ميلان و نابلي و ارثوا و الفلاندر، و بذلك انتقلت السيادة على شبه الجزيرة الإيطالية إلى شارل الخامس.

لقد كانت الإنتصارات التي توّجت بها القوّات الجزائرية خاصة بعد تحطيم صخرة البنيون كفيلة بأن تضعها في موقع الخطر خاصة بعد الإرادة الشديدة لانتقام الإسبان لهزيمتهم، فأدرك خير الدين أن السواحل الجزائرية ستتعرض لهجومات إسبانية جديدة لا محالة، مما جعله يقوم بتقوية أسطوله طيلة سنة 1530م. فاستدعى سنان باشا أحد الريّاس المشهورين بالقوة و الجرأة لضمّه للعمل تحت رايته و أرسل له خطابا و بعض الهدايا يدعوه فيه إلى الإنضمام لقوته، فرحّب سنان باشا بعرض خير الدين و أبحر مسرعا إلى الجزائر على رأس سفينتين من نوع الغليرة و 24 غليوطة[17]، و كان مصحوبا بعلي كرمان البحّار المشهور و الذي ضمّ ستّة من سفنه المختلفة الأنواع إلى أسطول خير الدين[18].

أنظر **البطريق (عبد الحميد)، نوار (عبد العزيز)** : *التاريخ الأروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر* ، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997، ص 72-73.

[16] **التر (عزيز سامح)** : *الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية*، ترجمة: محمود علي عامر، الطبعة الأولى، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1409هـ-1989م، ص 94.

[17] الغليوطة (Galiote): هي نوع من السفن الحربية أصغر حجما من سفينة الغليرة، و أكثرها سرعة لاعتمادها على قوة الدفع بالمجاذيف، و يلاحظ غياب المقصورة الأمامية بها لشكلها الدائري من الأمام و من الخلف، و كذا غياب صاري المقدمة الذي يعلوه شراع على منتصف المقصورة، و لها نفس الخصائص الجيدة لسفينة الغليرة، عدد المقاعد بها ما بين 12 إلى 19 مقعد، و قدرة استيعابها تتراوح ما بين 20 إلى 130 رجلاً، أما تجهيزاتها فتراوحت ما بين مدفعين إلى 10 مدافع. و تتّسم أيضا بالانبساط و طول المدى لمدفعيتها و شحنتها الجد قليلة، كل هذا أهّلها لتكون أقوى من السفن الأوروبية العالية و الثقيلة، و تم تصنيع هذا النوع من السفن في الورشات الجزائرية منذ القرن 10هـ-16م، و تعددت مهامها من حراسة و مراقبة الميناء أيام السلم، بهدف منع العبيد من الفرار بالسفن أو القوارب و إفشال كل محاولاتهم، و استعمل هذا النوع من السفن الأخوين باربروس في بداية نشاطهم البحري، و تم إنتاج إحدى و ثلاثين غليوطة سنة 944هـ/1538م. أنظر **محجوبي (زهرة)** : "أهم مراكز الصناعة البحرية الحربية الجزائرية خلال العهد العثماني (1529-1830م) و تفاعلها مع جوانب الحياة"، *مجلة الدراسات التاريخية العسكرية*، الجزائر، مجلد 1، عدد 1، 2019، ص 57.

[18] **ROTALIER (Charles de)** : *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle*, tome 1, Paris, Paulin, 1841, p. 165-166.

و بذلك أصبح الأسطول الجزائري يتكون من ستين عمارة بعد ضمّ سفن الريّاس الذين التحقوا بخير الدين في هذه السنة[19]، و كان من بينها عشر سفن من نوع الغليرة.

إنّ القوّة التي انضمّت إلى الأسطول البحري شجّعت خير الدين على تنظيم حملة على مدينة قادش (Cadix)، و كان الهدف منها هو نقل ميدان المعارك إلى الضفّة الساحلية الغربية لإسبانيا و بالضبط غرب جبل طارق، و لعّل قيام خير الدين بنقل المعارك إلى مناطق جديدة كان سببه الإجراءات الدفاعية التي قام بها الإسبان في السواحل الشرقية من بلادهم، بالإضافة إلى ضيق البحر المتوسط لنشاط خير الدين فكان عليه الإتّجاه إلى أبعد من ذلك[20]. فتعدّدت غارات غزاة الجزائر على إسبانيا و إيطاليا و جزر غرب البحر المتوسط، حتى أصبح شارلكان يجد صعوبة بالغة للسفر من برشلونة إلى نابولي[21].

أعدّ خير الدين العدّة للإبحار إلى قادش لكنه تأخّر في ذلك بسبب نقص المؤونة، فأمر علي كرمان بالإبحار على رأس 25 سفينة إلى مدينة شرشال لجلب تلك المؤن التي تنقصه[22].

في تلك الأثناء كانت إسبانيا تقوم على قدم وساق لتجهيز حملة للهجوم على السواحل الجزائرية، و هذا بعد الهزيمة النكراء التي تكبّدتها القوات الإسبانية و مقتل

الأميرال الإسباني بورتوندو (Portundo)[23]، فأسند الإمبراطور قيادة هذه الحملة إلى الجنوي أندريا دوريا[24]، الذي التحق بخدمة العرش الإسباني منذ سنة 1528م[25].

---

[19] **DEVOULX (Albert)** : « La marine de la régence d'Alger», *Revue Africaine*, 13, 1869, p. 389.

[20] **ROTALIER (Charles de)** : *Op. cit.*, p. 165-166.

[21] **دراج (محمد)** : *الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس 1512-1543*، الطبعة الأولى، الجزائر، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، 2012، ص 265.

[22] كان الأسطول الجزائري في كل مرّة يغادر الجزائر لابد عليه أن يتوجّه نحو مرسى شرشال، كون هذه المدينة كانت تحتوي على مصنع للفطائر و التي كانت تشكّل المؤونة الأساسية للبحارة خلال إبحارهم الذي كان يطول عدّة أيام، أنظر:

ROTALIER (Charles de) : *Op. cit.*, p. 167.

[23] عندما علم ملك إسبانيا كارلوس بأن الرّيس أيدن و الرّيس صالح نهبوا 14 سفينة في سواحل

4. أسباب إختيار شرشال:

لقد كانت مدينة شرشال إحدى المناطق الجزائرية السّاحلية التي استقطبت العديد من مسلمي الأندلس حيث "...قصدها الغرناطيون إذ ذاك و أعادوا بناء عدد

جنوة، ثم توجهوا إلى السواحل الفرنسية و رسوا في أطراف مرسيليا و غنموا من هناك مغانم كثيرة، و منها تابعوا طريقهم إلى السواحل الإسبانية فهاجموها و دمروا مناطق واسعة منها و أسروا آلاف الأشخاص، فقرّر قطع طريق عودتهم بأسطول ضخم. و بينما كانوا يدمّرون السواحل الإسبانية علم الرّيس أيدن بخبر المسلمون الذين تجمعوا في سواحل أوليفا للتخلص من الظلم الإسباني، فنقلوا منهم 200 عائلة و اتجهوا إلى جزيرة فورمنتره ليبيتوا هناك، و في منتصف الليل هاجمهم الأميرال الإسباني بورتوندو الذي استدعي من جنوة من قبل البابا الذي وعده بمكافأة قدرها 15 ألف ليرة ذهبية مقابل القبض على الريّاس الجزائريين بـ 9 سفن حربية، و ألقى القبض على بعض الأندلسيين الهاربين مع أطفالهم، لكن الرّيس آيدن هاجم الإسبان بقوة أجبرتهم على ترك سفنهم مفضّلين الغرق على الموت بالسيف، فتمكن الرّيس آيدن من قتل الأميرال و أسر 7 سفن. أنظر **بربروس (خير الدين)** : المرجع السابق، ص 140-141؛ **التر (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 88.

[24] أندريا دوريا (Andrea Doria): لقد أسند الإمبراطور شارلكان قيادة أسطوله البحري إلى بحار ماهر ذاع صيته و لمع اسمه و هو الأمير أندريا دوريا "أمير البحر": ولد في 30 نوفمبر 1466م، كان أكبر من عروج بخمس سنوات، عاش 92 سنة، و هو سليل بيت من أكبر و أمجد بيوتات مدينة جنوة الإيطالية، و قد ورث عن أبيه و عن جدّه حب المغامرة البحرية و عشق الأمواج، كان أبوه رئيس جيش البابا إينوسانت الثامن و مات و ترك ولده بدون ولي. لما كبر أندريا دوريا دخل الجيش و حارب في جيوش فرديناند الأول و ألفونس الثاني ملكي أراغون و نابولي، و لم يكن يهمه الشخص الذي يعمل تحت رايته على شرط أن يكون مسيحيا مقاتلا، فكان أكبر منافس لعروج و خير الدين في البحر المتوسط. عمل أوّلا تحت لواء مدينة جنوة ثم إصطفاه فرانسوا الأول ملك فرنسا و سلّمه مقاليد الأسطول الفرنسي إلى أن بدرت من الملك الفرنسي بادرة أساءته سنة 1529م، فأرجع إليه القلادة التي سلمها له رمزا للقيادة و دخل في خدمة الإمبراطور شارلكان قائد أضخم دولة مسيحية في أروبا، تجمّع تحت تاجه بلاد إسبانيا و أغلب إيطاليا و النمسا و ألمانيا و بلجيكا و هولندا و القسم الأكبر من بلاد أمريكا الوسطى و الجنوبية، فنزع من سفنه شعار الملكية الفرنسية "زهرة الزنبق" و خلفها بشعار الإمبراطور و هو "أعلى فأعلى"، و أخذ شارلكان يستعمله ضد عدويه اللّدودين فرانسوا الأول و سليمان الخليفة العثماني. أنظر **المدني (أحمد توفيق)** : المرجع السابق، ص 302-303؛ **بن أشنهو (عبد الحميد بن أبي زيان)** : المرجع السابق، ص 156-157.

[25] **التر (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 88-95.

مهم من دورها، وجدّدوا القلعة ووزّعوا الأراضي بينهم ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة، و اشتغلوا بصناعة الحرير...فعاشوا في رخاء دائم...و لم يخضعوا إلاّ لبربروس..."[26].

وعليه فإن استعادة هؤلاء المهاجرين الأندلسيين لاستقرارهم في هذه المدينة من بين أهم الأسباب التي دفعت الإسبان على تشتيتهم من جديد و الإنتقام منهم، لكونهم كانوا يشاركون في الغارات التي كان ينظّمها الأتراك ضد السّواحل الإسبانية، بالإضافة إلى إعلانهم الولاء لخير الدين بصفة نهائية، و هذا ما بيّنه كربخال في قوله: "...و شيئا فشيئا قام العمران بهذا السهل على أيدي المدجّنين و أهل تاكارت و مسلمي الأندلس المتّصفين بالشّهامة و الحذق ....حتّى إنك تجد اليوم بهذه المدينة أكثر من خمسة آلاف دار تستطيع أن تعبئ و تجهّز عند الحاجة أزيد من ألف مقاتل من حملة القذافات و البنادق...و ضمانة حمايتها في عدد سكانها و شجاعتهم ...سكان شرشال أذكياء على وفاق مع الأتراك لأنهم أحسنوا لقاء بارباروس عندما نزل بها..."[27].

كما كان من بين أسباب اختيار دوريا لشرشال لشن حملته عليها هو علمه بالإستعدادات و التحصينات التي شهدها ميناء الجزائر، حيث جهّز خير الدين باربروس 35 سفينة في ميناء الجزائر إستعدادا لظهور الأسطول الإسباني[28]. و بما أن الإسبان كانوا قد فقدوا حصن البنيون الذين كانوا يعتمدون عليه لضرب المدينة مثلما كان يحدث في هجماتهم السابقة، فكانت مدينة شرشال القريبة من جزر الباليار الهدف الأنسب لشن هذه الحملة[29].

فتفاديا للإصطدام بقوات خير الدين ركّز دوريا هجومه على شرشال، فهي تعدّ

---

[26] **الوزان (الحسن بن محمد)** : *وصف إفريقيا*، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، ج 2، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 34.

[27] **كربخال (مارمول)** : *إفريقيا*، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، ج 2، الرباط، دار المعرفة، 1989، ص 356.

[28] **دراج (محمد)** :المرجع السابق، ص 268.

[29] و على حسب ما جاء به هايدو أن أندريا دوريا وضع مدينة شرشال هدفا لحملته، و هذا لكي يقوم بتحرير المساجين المسيحيين الذين كاتبوا الأمير أندريا دوريا يطالبونه بإنقاذهم، و بيّنوا له سهولة مهمة تحريرهم و احتلال المدينة و تحطيم رصيفها. أنظر:
HAEDO (Diego de) : *Op. cit.*, p. 52.

مركزا من أهم المراكز الجزائرية أنذاك فهي قريبة من مدينة الجزائر (تبعد عنها سوى 120 كلم فقط)، إضافة إلى أن عروج كان قد حصّنها و أقام بها قلعة و مصنعا لبناء السفن الحربية و معملا لصناعة الأخشاب، و كان أندريا دوريا يعلم أن هذه المدينة لم يكن لها إلا رجال حاميتها للدفاع عنها و المجاهدين المتطوعين فلا تستطيع المقاومة طويلا، فإذا استقر هو بها و وضع حاميته في قلعتها فلن يستطيع أسطول خير الدين إخراجه منها[30]، فمدينة شرشال إذن كانت هدف المعركة.

5. الإستعدادات الإسبانية للحملة:

عيّن الملك أندريا دوريا قائدا لحملة الغزو و بعد تجهيزه للأسطول و الجنود قرّر هذا الأخير إتخّاذ شرشال نقطة إنزاله لقواته، إستمرّ إعداد الحملة قرابة سنة[31]، فأخذ دوريا يجمع أسطوله في مدينة جنوة منذ سنة 1530م و في شهر جويلية من سنة 1531م الموافق لذو الحجة 937هـ، تحرّك من المرسى الإيطالي الكبير (جنوة) على رأس عمارة مؤلّفة من عشرين سفينة حسب هايدو و دي غرامون، في حين قدّرها روتالييه بثمانية و ثلاثين سفينة من نوع الغليرة[32]، كانت تحمل 1500 من المقاتلين الأشدّاء باتجاه شرشال[33].

---

[30] **المدني (أحمد توفيق)** : المرجع السابق، ص 304-305.

[31] **التر (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 94.

[32] الغليرة : تتصدر قائمة السفن الحربية الأكثر استعمالا في العصور الوسطى و القديمة. إنّ هذه السفن لها أنواع كثيرة (من نفس العائلة) إذ نجد الغليرة، الغالية و الشيني، و هي أكبر حجما و أكثر تسليحا، و لعل الإسم تطور مع مرور الزمن أو أنه تفرّع من لغات لاتينية عدّة إيطالية، و إسبانية و حتى اللغة الإغريقية و العربية لذلك نجد تسميتها تتغير. أما الإسم العربي فلعلّ اسم الشانية أو الشونة يرجع إلى كلمة شونه شوان و هي مخزن القمح أو الغلة لأن هذا النوع من السفن يحتوي على مخازن لتخزين المؤونة عند الإبحار و صهاريج للمياه العذبة، و أخرى لرمي النار و النفط على العدو، و هذا العنصر غاب في السفن الجزائرية و اقتصر بالسفن الأوروبية.
تميّزت الغليرة الجزائرية عن نظيرتها الأوربية من حيث تقنية الصنع و الحمولة و الطفو على الماء، و هي ذات صاري واحد و مسلحة بمدفع واحد ثنائية التسيير (الأشرعة و المجاذيف)، و اتّصفت بالمرونة و سهولة قيادتها و كذا بطولها و انخفاض مستواها ما عرّضها للتبلّل بالأمواج بمجرد أن يضطرب البحر، و هي سريعة و خفيفة لاكتفائها بحمل ما هو ضروري إذا كانت لها قدرة على مطاردة سفن العدو و اقتحامها أو القتال بالمواجهة، و كذا الإفلات بكل سهولة من مدفعية

6. الإستعدادات الجزائرية لصدّ الحملة:

علم خير الدين بالترتيبات التي يعدّها الإسبان لغزو الجزائر فجمع 35 سفينة في ميناء الجزائر، كما أرسل بخبر إلى الريّس سنان الموجود في جربة و كلّفه بإخبار جميع القباطنة بنيّة الإسبان، فالتحق الريّس سنان بسفنه السبعة مع عدد من الأتراك الأبطال بالريّس خير الدين، و عندما علم هذا الأخير بتحرّك الحملة قرّر قطع طريقها في البحر، فتوجّه إلى جزر الباليار حيث كان يأمل ملاقاتها هناك لكن أندريا دوريا كانت وجهته مدينة شرشال[34].

7. مجريات الحملة:

1.7- وصول الحملة إلى شرشال:

لمّا أشرف الأميرال أندريا دوريا على شرشال حاول مباغتتها مستغلا إنشغال الأسطول الجزائري باستعداداته للهجوم على مدينة قادش[35]، و في الحال أنزل قواته

الغليرات الأوربية. لقد تميزت الغليرة الجزائرية الخالية من العناصر الزخرفية بالخفة و المناورة، لذا كانت الغليرات الأوروبية فريسة سهل الإنقضاض عليها من الغليرات الجزائرية. تختلف مقايس الغليرة من بلد إلى آخر مع المحافظة على هيكلها العام ففي الجزائر كان طولها يتراوح ما بين 40م إلى 50م، و عرضها ما بين 4م إلى 6م و عدد المقاعد بها ما بين 24 إلى 28 لكل مقعد مجدافان، و يقوم على كل مجداف أربعة إلى خمسة رجال و طول المجاذيف ما بين تسعة إلى اثني عشر متر، أما عن تجهيزاتها فكانت بمدفع واحد في مقدمتها، و كان يراعى فيها عامل الخفة بتقليص حمولة التجهيزات المتنوعة و هذا ما غاب عند الأوروبية. عرفت الغليرات الجزائرية بفعالية قتالية عالية، و قد تطورت إذ وصلت قدرة استيعابها إلى خمسمائة راكب أغلبهم من الأسرى يقومون بالتجذيف، و نقص هؤلاء أثّر عليها فبدأت في الإضمحلال بداية من القرن (12هـ-18م)، و استخدم هذا النوع من السفن أثناء تحرير حصن البنيون و كذا في حصار مالطا سنة (973هـ-1565م) بـ28 غليرة، و كذا في معركة ليبانت سنة (923هـ-1571م) بقيادة علج علي بـ60 غليرة. تقلّص هذا النوع بالأسطول الجزائري إذ أصبح ثلاث سفن سنة (1086/1675م). أنظر **محجوبي (زهرة)** : المرجع السابق، ص 54 .

[33] حول الإستعدادات الإسبانية للحملة، أنظر:

HAEDO (Diego de): *Op. cit.*, p. 52 ; **GRAMMONT (H. D. de)**: *Op. cit.*, p. 37 ; **ROTALIER (Charles de)**: *Op. cit.*, p. 167.

[34] **الترـ (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 94.

[35] **سعيود (إبراهيم)** : "لمحة عن الصراع الجزائري الإيطالي خلال العهد العثماني"، *مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية*، الجزائر، مجلد 7، العدد 1، 2007، ص 207.

في البر بجوار المدينة دون مقاومة تذكر و أرسى سفنه هناك فلم تقصفها مدفعية القلعة في البحر، حيث اعتقدت حاميتها أنها سفن تابعة لخير الدين التي كانوا ينتظرونها لكنّهم سرعان ما تفطنوا لخطئهم[36].

عندما علم الأسرى المسيحيين البالغ عددهم 700 إلى 800 أسير و الذين كانوا يعملون في رصيف المدينة بنزول القوات الإسبانية إلى البرّ، كسروا قيودهم و انضموا إليهم مما صعّب على الإنكشاريين محاولتهم دخول القلعة للإحتماء بها[37].

اضطرّ السكان إلى إخلاء المدينة ريثما يصل المدد من الجزائر و من داخل البلاد، في حين تركّزت الحامية الإسلامية و من معهم من المجاهدين و قاموا بالتحصّن داخل القلعة، ينتظرون الوقت المناسب للهجوم على العدو، بادر الجنود الإسبان بالبحث عن الأسرى النّصارى الموجودين في السّجون و أطلقوا سراحهم، فانضموا إليهم في عملية نهب لممتلكات السكان و دلّوهم على ديّار كبار القوم و مخابئ الأموال، فانقسم الجيش الإسباني و من معه من الأسرى إلى عصابات نهب و سلب حتى خرج بعضهم إلى الحدائق المحيطة بالبلدة[38].

2.7- تصدي رجال الحامية و السكان للغزاة :

لمّا كان رجال العدو منهمكين في تحرير الأسرى المسيحيين و نهب ما وجدوه في المرسى و المدينة، أدرك الإنكشاريون الفوضى السائدة في قوّات العدو جرّاء تشتّتهم في أرجاء القصبة، فانتهز البحّارة هذه الفرصة و فتحوا أبواب القلعة و قاموا بهجوم خاطف و مكثف على رجال دوريا، الذي لم يكن هذا الأخير يتوقع هذه المفاجأة[39]، و ساندهم في ذلك الأهالي و المهجّرين الأندلسيون الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصّبر الإنتقام من الإسبان، كما أخذت مدفعية القلعة تقصف أسطول أندريا دوريا[40].

ثم التحمت فرقة الإنكشارية بالقوات الإسبانية في هجوم مفاجئ لم يكن

---

[36] **ROTALIER (Charles de)** : *Op. cit.*, p. 168.

[37] **الترّ (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 95.

[38] **المدني (أحمد توفيق)** : المرجع السابق، ص 205.

[39] **بربروس (خير الدين)** : المرجع السابق، ص 149-150.

[40] **الترّ (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 95.

يتوقعه الإسبان[41]، و اندفعوا يحاربون بالتهليل و التكبير و أحاطوا بالعدو من كل جانب، و حالوا بين فرقه و بين عودتهم إلى البحر للإلتحاق بسفنهم، فقتلوا منهم أزيد من 400 جندي[42] و أجبروا الآخرين على الفرار[43].

و لمّا رأى أندريا دوريا ما أصاب جنوده من الإضطراب و التّقهقر قام بإبعاد السفن عن الشاطئ حتى يضطرّهم إلى الرجوع إلى القتال، لكنه سرعان ما أمر بإلقاء رواسي سفنه ليصعد إليها الجنود الذين فرّوا من قبضة المقاتلين المسلمين، و هكذا أدّى جشع الجنود الإسبان إلى قلب ذلك النصر إلى هزيمة[44].

و قد أورد هايدو أن قيام دوريا بإبعاد سفنه كان سببه عدم إلتزامهم بالتعليمات التي أعطاهم إيّاها عند الإنزال في شرشال، حيث أمرهم بجمع الأسرى المسيحيين و عدم التفرق لنهب الممتلكات، و الإلتحاق بالمراكب فور سماعهم لطلقات المدفعية المنذرة للرّجوع إلى السفن.

اضطرّ دوريا إبعاد سفنه من الشاطئ مع بعض الأسرى الذين تمّ إنقاذهم في البداية، و ذلك تخوّفا منه من إحتلال سفنه أو تحطيمها من طرف أفراد الحامية الذين أسروا 600 جندي إسباني[45].

3.7- وصول خير الدين بأسطوله إلى شرشال :

لقد كان ورود أنباء قدوم خير الدين على رأس أسطوله للتصدي للحملة الإسبانية سببا لمغادرة أندريا دوريا أرض المعركة، ناجيا بنفسه و سفنه و بقايا رجاله إلى جهة الشمال مخلّفا وراءه سفينتين محملتين بالعتاد[46].

---

[41] **دراج (محمد)** :المرجع السابق، ص 268.

[42] قدرت خسائر الإسبان حسب هايدو 1400 قتيل في حين استولى الأتراك و الأندلسيون على أكثر من 600 أسير، أنظر:

HAEDO (Diego de) : *Op. cit.*, p. 52-53.

[43] **ROTALIER (Charles de)** : *Op. cit.*, p. 169.

[44] **كربخال (مارمول)** : المرجع السابق، ص 357.

[45] **HAEDO (Diego de)** : *Op. cit.*, p. 53.

[46] **المدني (أحمد توفيق)** :المرجع السابق، ص 206.

فبعد إنتهاء المعركة بساعات وصل الريس خير الدين إلى شرشال فقيدوا الأسرى بالسلاسل و كان من جملة الأسرى معاون أندريا دوريا، و الذي أخبر خير الدين بأن قائده سيذهب إلى جنوة، فتحرك خير الدين خلفه آملا ملاقاته و إلقاء القبض عليه[47].

4.7- متابعة خير الدين لسفن العدو :

لمّا وصل خير الدين و رجاله إلى شرشال على رأس 40 قطعة[48]، علم بأمر فرار سفن العدو و توجّهها إلى جنوة فتحرك لمطاردتها لكنّه لم يتمكن من اللّحاق بها[49]، و لم يدرك سوى أسطول صغير تابع له تمكّن من الإستيلاء عليه بعد معركة عنيفة، و بعد استشهاد أكثر من 300 شهيد من المسلمين، حيث يقول: "...عندما بلغني هجوم دوريا على شرشال خرجت إليه في أربعين قطعة، إلا أنه ما إن علم بخروجي حتى غادر شرشال و لم أدرك سوى أسطول صغير تابع له تمكنت من الإستيلاء عليه بعد معركة عنيفة ... فانجلت المعركة عن استشهاد أكثر من ثلاثماية شهيد من رجالنا بينما تمكنا من الإستيلاء على الأسطول ... فبلغت سفني ستين قطعة ... قدمت بها جميعا إلى مرسى شرشال ..."[50].

قرّر خير الدين متابعة ملاحقته لدوريا و هو في طريقه إلى جنوة. توقف بمرسيليا حيث مكث هناك مدة عشرة أيام، إصطدم خلالها مع بعض السفن المسيحية و تمكن من الإستيلاء على سفينة إسبانية من جزيرة ميورقة، كما حجز الفرنسيون في نفس الوقت سفينة جزائرية محملة بـ300 مسيحي، و لمّا بلغ خير الدين أطراف جنوة هاجم أحد الحصون و أسر أفراد حاميته و أحرق 22 سفينة كانت راسية في الميناء، ثمّ توجه مباشرة إلى جنوة لكنه عاد من منتصف الطريق متجها إلى الجزائر بسبب هبوب العاصفة، و لم يتمكن خير الدين من القبض على دوريا الذي

---

[47] **التر (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 95.

[48] **بربروس (خير الدين)** : المرجع السابق، ص 150.

[49] **المدني (أحمد توفيق)** : المرجع السابق، ص 206.

[50] **بربروس (خير الدين)** : المرجع السابق، ص 150.

اتجّه إلى السواحل الإسبانية[51].

الخاتمة:

لقد كان لهذا النّصر العظيم أثره الفعّال داخل البلاد و خارجها، فعلى المستوى الداخلي:

-إستطعنا الكشف عن الدور الذي لعبته الحامية العثمانية، و التي التحمت مع سكان شرشال التي كانت مسكونة في الأغلب من قبل المهاجرين الأندلسيين، الذين يعرفون كيف يحاربون الإسبان و استطاعوا التصدي للحملة.

-إزداد الشعب الجزائري إيمانا بقوة هذه الدولة التي أقامها بإرادته و أيقن أنّ نصر الله مرتبط برايتها و إنقاذ الوطن سيكون على يدها، فازدادت هيبة الدولة و قوي نفوذها و امتد سلطانها، و أثّر ذلك على أهل تلمسان الذين طالبوا من خير الدين تخليصهم من إحتلال الإسبان لهم.

أما على المستوى الخارجي:

-فقد كان لخبر إنكسار حملة أندريا دوريا في شرشال و فراره أمام أسطول خير الدين ضجّة كبيرة عمّت الدوائر المسيحية، و جعلتها تفكّر تفكيرا جديا في تجهيز حملة حاسمة للقضاء على هذه القوة الناشئة.

-بعد فشل الإسبان في بسط نفوذهم على المناطق الساحلية الوسطى للجزائر (شرشال) حوّلوا تركيزهم إلى المناطق الساحلية الغربية، حيث سعوا من جديد إلى احتلال مدينة هنين و في نفس السنة 1531م.

-كما هزّ النصر الإسلامي مركز الخلافة في إسطنبول و جعلها تفكّر تفكيرا جديا في منح خير الدين فرصة أوسع لاستثمار خبرته، و تمكينه من القضاء على أعداء الدولة و الإسلام بصفة عامة و شاملة، وذلك من خلال تعيينه قائداً على البحرية العثمانية سنة 1534م.

[51] **التر (عزيز سامح)** : المرجع السابق، ص 96-95.

المراجع باللغة العربية:

-**بربروس (خير الدين)** : *مذكـرات خير الدين بربروس*، ترجمة: محمد دراج، ط 1، الجزائر، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، 2010.

-**البطريق (عبد الحميد)، نوار (عبد العزيز)** : *التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر*، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997.

-**بن أشنهو (عبد الحميد بن أبي زيان)** : *دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر*، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 1972.

-**التر (عزيز سامح)** : *الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية*، ترجمة: محمود علي عامر، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1409هـ-1989م.

-**دراج (محمد)** : *الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس 1512-1543*، الطبعة الأولى، الجزائر، شركة الأصالة للنشر و التوزيع، 2012.

-**سعيدوني (ناصر الدين)** : "شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، زغوان، تونس، عدد 21، 2001. ص 73-86.

-**سعيود (إبراهيم)** : "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجا"، *مجلة الواحات للبحوث و الدراسات*، غرداية، الجزائر ، عدد 11، 2011. ص 145-162.

-**سعيود (إبراهيم)** : "لمحة عن الصراع الجزائري الإيطالي خلال العهد العثماني"، *مجلة دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية*، الجزائر، مجلد 7، العدد 1، 2007. ص 205-212.

-**فون مالتسان (هاينريش)** : *ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا*، ترجمة: أبو العيد دودو، ج 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973.

-**كربخال (مارمول)** : *إفريقيا*، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، ج 2، الرباط، دار المعرفة، 1989.

-**عباد (صالح)**: *الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830*، الجزائر، دار هومة، 2005.

-**محجوبي (زهرة)** : "أهم مراكز الصناعة البحرية الحربية الجزائرية خلال العهد العثماني (1529-1830م) و تفاعلها مع جوانب الحياة"، *مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر*، مجلد 1، عدد 1، 2019، ص 48-67.

-**المدني (أحمد توفيق)**: *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792م*، ط 1، الجزائر، دار البصائر، 2007.

-**الوزان (الحسن بن محمد)** : *وصف إفريقيا*، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي و محمد الأخضر، ج 2، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.

المراجع باللغة الأجنبية:

-**BENSEDDIK (N.)**, **FERDI (S.)**, **LEVEAU (Ph.)** : *Cherchell*, Alger, Ministère de la Culture, Direction des Musées, de l'Archéologie et des Monuments et Sites Historiques, 1983.

-**COLIN (Gabriel)** : *Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie. I- Département d'Alger*, Paris, Leroux, 1901.

–**DEVOULX (Albert)** : « La marine de la régence d'Alger », *Revue Africaine*, 13, 1869, 384-420.

–**HAEDO (Diego de)** : *Histoire des Rois d'Alger*, Alger, éditions grand Alger-livres, 2004.

–**GRAMMONT (H. D. de)** : *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris, Ernest Leroux, 1887.

-**GSELL (Stéphane)** : *Cherchell antique, Iol-Caesarea*, Alger, 1952.

–**ROTALIER (Charles de)** : *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle*, T. 1, Paris, Paulin, 1841.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 2 ص ص 49-74
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/12/8) تاريخ القبول (2022/12/22) تاريخ النشر(2022/12/29)

نماذج من عقود المحكمة الشرعية في الجزائر خلال العهد العثماني

Samples of *Al-Mahâkim al-Shar'iyya* contracts in Algeria during the Ottoman period

خيراني ليلى♦
جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله
البريد الإلكتروني : l.kheirani@hotmail.com

ملخص:

المخطوط هو عبارة عن ذخيرة هامة تحتفظ بها المكتبات، و هو دليل تاريخ الأمم و مسارهم عبر الزمن، في ميادين مختلفة، سياسية و اقتصادية و حضارية بمفهومها الأوسع، و لاشك أن دراسة علم المخطوط يُنبّه إلى القواعد التقنية الدقيقة التي ينبغي اعتمادها من أجل إماطة اللثام عن هذا الكم الهائل من المخطوطات التي تختزنها بلادنا، و هي محفوظة بدور مختلفة، وقع اختيارنا في هذا المقال على وثيقة "عقود" التي تشمل على تقاليد مسجلة في كناش متوسط الحجم يتألف من اثنا عشرة ورقة (12)، و هذا المخطوط محفوظ بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية سنحاول التعرف على محتواه، ماذا يتضمن من مواضيع تخص تاريخنا العميق، ماهي أهمية دراسة هذا المخطوط في الفترة الحديثة لتاريخ الجزائر العثمانية.

الكلمات المفتاحية:

مخطوط؛ عقود؛ المحكمة الشرعية؛ القاضي؛ زواج؛ طلاق؛ الملكية؛ الكراء؛ أطراف العقود.

Abstract:

The manuscript is an important relic kept by libraries, and it is a guide to the history of nations and their journey through time, in different fields, political, economic, and civilizational in its broadest

♦المؤلفة المرسلة

sense. There is no doubt that the study of the science of manuscripts draws attention to the precise technical rules that must be adopted to discover this enormous quantity of manuscripts that our country stores and that are kept in different places. In this article, we have chosen the document "'Uqûd", which gathers traditions recorded in a medium-sized booklet of twelve sheets. This manuscript is kept in the Department of Manuscripts of the National Library of Algeria. We will try to identify its content, the subjects related to our deep history, and the importance of the study of this manuscript in the recent period of the history of Ottoman Algeria.

Keywords :
Manuscript; Contracts; Judicial court; The judge; Marriage; Divorce; Property; Renting; Contracting parties.

مقدمة

إن الحديث عن المخطوط[1] هو الحديث عن الذخيرة الكبيرة التي تختزنها المكتبات بوصفها مرآة للعطاءات الإنسانية عبر التاريخ، و هي دعوة للنبش في حفريات المعرفة المتعلقة بتراث الأمم، و لاشك أن دراسة علم المخطوط يُنبّه إلى القواعد التقنية الدقيقة التي ينبغي اعتمادها من أجل إماطة اللثام عن هذا الكم الهائل من المخطوطات التي تختزنها بلادنا، و هي محفوظة بدور مختلفة، و في هذه الورقة سنحاول تسليط الضوء على واحدة من الآلاف. وقع اختيارنا على وثيقة "عقود"[2]

[1] المخطوط أو الوثيقة: في المعنى العام تدل على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون أن ينحصر ذلك فيما دوّن منها على الورق و لكنها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ، هي الكتابات الرسمية -أو شبه الرسمية- مثل الأوامر و القرارات و المعاهدات السياسية و الكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أو نظمهم و تقاليدهم و ما يصيبهم من نوة أو ضعف أو مشروعات أو مقترحات متنوعة تصدر عن مسؤولين في الدولة أو التي تقدم إليهم، أو المذكرات الشخصية أو اليوميات. أنظر **حسن محمد (نبيلة)** : *في الوثائق و المخطوطات*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص 9 و أنظر أيضا **الحلوجي (عبد الستار)** : *المخطوط العربي*، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2002، ص 234.

[2] المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، 1362، مجهول، عقود. أنظر:

FAGNAN (E) : *Catalogue général des manuscrits, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1ère tranche du n°1 au n°1987*, 2e Edition, Alger, 1995, p. 371.

التي تشمل على تقاليد مسجلة في كناش متوسط الحجم يتألف من اثنا عشرة ورقة (12)، مسجلة بخط مغربي واضح بالحبر الأسود، و بداخلها عناوين كلها مسجلة بالخط الأحمر، تحت قياس (222 × 157 مم).

هذا المخطوط محفوظ بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، تحت رقم 1362، لمؤلف مجهول، و مسجلا بعنوان "عقود".

في الحقيقة أن هذه الدراسة ليست تحقيقا للمخطوط بقدر ما هي التعريف به، و ذكر ما ورد فيه من معطيات و الوقوف على الجوانب الهامة التي تضمنته، و ماهي أهمية الفوائد الإخبارية التي يمكننا أن نستخلصها من دراسة هذا المخطوط، و إلى أي مدى يمكن أن تفيدنا في دراسة التاريخ الجزائري في الفترة الحديثة (أي العهد العثماني في الجزائر). كلها جملة من التساؤلات نطرحها سنحاول الإجابة عليها من خلال دراستنا لهذا المخطوط.

1. التعريف بالمخطوط:

يمكن أن نسمي هذا المخطوط "نماذج من عقود المحكمة الشرعية في الجزائر خلال العهد العثماني "بالاستناد إلى ما جاء في المخطوط من عناوين فرعية تفصل فعلا في إعطاء أنواع العقود التي كانت تصدرها المحكمة الشرعية باعتبارها مؤسسة عليا تابعة للسلطة الإدارية وقتذاك[3]، فوردت أول صفحة بعد (الحمد لله على بركة الله اصطفى و سنة نبيه المصطفى الكريم، و بعد بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه تسليما) "عقود النكاح عقد نكاح بكر يزوجها والدها"، و تماشيا مع محتوى المخطوط الذي وردت فيه فعلا نماذج متنوعة لعقود الزواج[4] و بها ذكر في كل مرة للحالة التي كانت عليه صفة المتزوجة، و ما يتضمنه العقد من صداق و مهر و شرط، ليكون الاتفاق و التراضي بين الطرفين، و

[3] القاضي هو موظف سامي له مسؤوليات إدارية و اقتصادية و اجتماعية، فقد لعب دورا أساسيا في تسير شؤون المجتمع في مختلف القضايا الاجتماعية و الإقتصادية. أنظر **خيراني (ليلى)** : *المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، 1818-1830، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية*، دكتوراه العلوم، جامعة الجزائر2، 2012، ص 199.

[4] وردت في الورقات 1 و 2 من المخطوط.

يوثق ذلك بعد توقيع الشهود و تثبيت ذلك العقد بختم القاضي الشرعي، و في المخطوط أيضا وردت صيغة الطلاق[5] و أنواعه و كذلك التبرعات[6] و النفقة[7] و الإستدعاءات[8] و الوكالة[9] و أنواعها، و الديون[10] و أنواعها، و طرق تسديده، تبرئة الذمم[11] و الكراء[12] و كان آخر وثيقة وردت في المخطوط. بذكره لعقود الشركة شركة قجاوة، و الأكيد أن هذا المخطوط مبتور أو ضاعت أوراقه لعدم انتهائه فينتهي بعدم تعريف عقود الشركة[13].

باعتبار أن الفترة التي يعود إليها المخطوط حسب ما أشار إليه المحافظ فانيان[14] فهي القرن 17م، و هي فترة حافلة في تاريخ مدينة الجزائر باعتبارها العهد الثاني للتاريخ العثماني في المنطقة، فقد تكرست أسس الإدارة العثمانية بالجزائر، و اتسمت بالدقة و التنظيم و عرفت مؤسسة القضاء استقلالية كبيرة في التعامل مع فئات المجتمع، و جعلت المحكمة الشرعية المحطة التي تستقطب أفراد المجتمع لأخذ الرأي في مختلف المعاملات اليومية، و كان العقد الشرعي هو الوسيلة و الضمان الذي يحفظ لهؤلاء حقوقهم و ممتلكاتهم، و هذا ما يوحي لنا فعلا بتنظيم الهيئات تنظيما محكما، أدهشت الغرب المسيحي و كتبت عنه العديد من المؤلفات الغربية[15].

---

[5] من الورقة 2 إلى 3.

[6] الورقة 2.

[7] الورقة 3.

[8] من الورقة 4 إلى الورقة 7.

[9] الورقات 9-10.

[10] الورقة 11.

[11] الورقات 11-12.

[12] الورقة 12.

[13] المحافظ فانيان علّق في كتابه أن المخطوط، بدون عنوان و لا مقدمة يعود إلى القرن 17م، و هي نماذج من عقود المحكمة، بمختلف أنواعها، تبدأ بعقد الزواج و ينتهي عند الشركة، و أن النهاية ناقصة.

[14] **FAGNAN (E.)** : *Op. cit.*, p. 371.

[15] **سعيدوني (ناصر الدين)** : "نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر و مكانتها في تاريخ الجزائر الحديث"، *مجلة التاريخ*، العدد 4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر،1977، ص 140.

أما إذا انتقلنا إلى استعراض المخطوط من حيث الأسلوب و اللغة المستعملة، فإننا لاحظنا أن مخطوط العقود الصادر عن المحكمة الشرعية فيه حرص على استخدام عبارات سليمة و واضحة، و بالفصحى العربية، و مع ذلك جاءت فيها بعض العبارات العامية، و فيه أخطاء نحوية و إملائية كثيرة، كعبارة "صماتها" عوض صمتها و عبارة غايبة بدل غائبة، و بالرغم من الاستشهاد بالآيات القرآنية إلا أنها لم تستخدم بصيغتها الصحيحة المذكورة في القرآن الكريم، فاستعملت بصيغة "و على ملجأ حكم القرار من إمساك بمعروف أو تسرح بإحسان"، عوض الآية الكريمة: "الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان..."[16]، و نوع الخط المستعمل في الكتابة غير واضح، و صعب جدا لغير المتخصصين فك رموزه اللغوية، حيث في أحيان كثيرة لا نجد معنى للمفردات، و غموض اللغة و تداخل مادتها و هو ما يصعب الانتفاع به على الوجه المطلوب.

و حتى تكتمل الفائدة من المخطوط حرصت على وضعه موضع النقد و التقييم و التعليق بعد أن أتممت قراءته و كتابته و تمحصت في معانيه، و أحاول أن أقدمه للقارئ بصيغة تقييمه أكثر منها تحقيقيه[17]، و الوقوف على كل المعطيات الواردة فيه وذكر فوائده الإخبارية التي تفيد في دراسة تاريخ المجتمع الجزائري في الفترة الحديثة.

2. محتوى المخطوط:

يبدأ المخطوط مباشرة بنموذج عقد الزواج، و قبل أن نشرع في تحليل الوثيقة لابد من الإشارة إلى أن العقود كلها جاءت بصيغة المبني للمجهول، فوردت كل العقود بلفظ فلان بن فلان مع فلانة بنت فلان[18]، و إذا تعلق الأمر بوالد أو أخ البنت

---

[16] سورة البقرة، الآية 229.

[17] الآن أنا بصدد تحقيقه.

[18] جاءت صيغة العقود كلها بصيغة مبني للمجهول، فليس فيها ذكر لأسماء المتعاقدين لمختلف القضايا (زواج، طلاق، نفقة، كراء...)، فهي إثبات حقيقي لاعتبار المخطوط: كنماذج واقعة لما جاء في كل المحكمة الشرعية التي فيها ذكر للأسماء بوضوح فنجدها تتحدث على الحسب و النسب و كل حيثيات العقد.

أنظر **خيراني (ليلى)**: "الوثائق العثمانية، أدوات هامة لإبراز واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، مؤسسة التميمي للبحث

يذكر فلان بن فلان و حتى الشهود ينعتون بصفة المذكور والمذكورين. و لتقريب الفهم سنحاول عرض الورقة الأولى من النص الأصلي للمخطوط حتى يتمكن القارئ من الإطلاع على الصيغة التي جاء بها المخطوط، و ذلك بالحفاظ على الصيغة الأصلية كما وردت.

1.2- نماذج من تحرير العقود:

1.1.2- النص الأصلي للمخطوط (الورقة الأولى) :

الحمد لله على بركة الله اسطفى و سنة نبيه المصطفى الكريم تزوج بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما

عقود النكاح عقد نكاح بكر يزوجها والدها[19] الحمد لله تزوج على بركة الله و حسن عونه و توفيقه الجميل و بمنه فلان بن فلان بن الفلان من فلانة بنت فلان الفلاني[20] البكر في حجر والدها المذكور و تحت ولاية حضره الحل للنكاح على صداق[21] مبلغ نقده كذا و مبلغ كاليه مقسط لها بالسواء و الإعتدال[22] على أعقاب

العلمي والمعلومات، تونس، 2012، العدد 44، ص ص 21-34.

[19] تتوحد عادة صياغة كتابة عقود الزواج و تتقارب في أغلب الوثائق من حيث ديباجتها فبعد بسم الله "الحمد لله تزوج على بركة الله..." ثم مباشرة يعرف بحال المتزوجة، ففي الوثيقة هي زواج البكر في حجر والدها، و هي المرأة العذراء التي لم يسبق لها الزواج.

[20] وردت العقود حاملة اسم الزوج (حتى و إن جاء بصيغة المبني للمجهول) و نسبه، و كذلك يذكر نسب الزوجة.

[21] ذكر في العقد الصداق أو المهر أو النحلة أو الفريضة، و هي ما يقدمه الزوج لزوجته على أنه هدية لازمة و عطاء واجب على الزوج لزوجته، قال الله تعالى:"و أتوا النساء صدقاتهن نحلة"، سورة النساء، الآية 4. و انظر **الشرنباصي (السيد)** : *أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية*، لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، 2002، ص 161.

[22] يصح أن يسدد الزوج المهر بالاتفاق مع الزوجة على أقساط، فهناك التعجيل كله أو التأجيل كله، و قد وردت في عقود المحكمة الشرعية على قسطين، النقد المحضر و يمثل الجزء الأول من الصداق و يقدم قبل البناء أو إتمام الزواج، و له طابع فوري و إلزامي، و الثاني هو النقد الحالي و الكالي، إذ يقدم النقد و الحال قبل إتمام الزواج و لكن ليس دفعة واحدة، فالأول فوري و الثاني على المدى القريب، أما الكالي أو المؤجل فيقدم بعد إتمام الزواج. **فراج حسين (أحمد)**: *أحكام*

كذا من تاريخه لا براءة له من ذلك إلا بالواجب تزوجها على الكتاب و السنة و على ملجأ حكم القرار من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان[23] أنكحه إياها والدها المذكور بما ملكه الله تعالى من أمرها و جعل اليد، من العقد عليها و النظر إليها و قبله الزوج المذكور و التزمه عارفا قدره[24] شهد على إشهاد الزوج الناكح الولي المنكح المذكورين بالمذكور عنها[25] فيه و هما بحال صحة فطوع و جواز و عرفه بهما تعريفا كافيا و في كذا عقد البكر اليتيمة المهملة[26] تزوج على بركة الله و توفيقه الجميل و يمنه فلان بن فلان الفلاني فلانة بنت فلان الفلاني البكر اليتيمة المهملة البالغ في سنها الحل للنكاح على صداق مبارك مبلغ نقده كذا و مبلغ كاليه كذا مقسطا عليه بالسواء و الإعتدال على كذا من تاريخه لا براءة له من ذلك إلا بالواجب و الدليل الواضح و البرهان الصالح تزوجها بكلمة الله العلية و سنة رسوله المرضية و على ما جاب بحكم القرار من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان انكحه إياها أخوها فلان بعد أن استومرت[27] بذلك كما يجب و أعلمت بالناكح المذكور بفلان بما بذل لها من الصداق مهرا و بان أذنها في ذلك صماتها فصمتت عند ذلك صمتا فهم من قبولها و رضاها[28] و قبله الناكح المذكور و التزمه عارفا قدره شهد على إشهاد الزوج الناكح و الولي المنكح المذكورين بما فيه عنهما و هما بحال الصحة و الجواز و الطوع حضر الإشهاد المذكور و شاهد صمات الموصوف و عاينهما كما يجب عرفهما و وقف على

الزواج في الشريعة الإسلامية، الدار الجامعية، ص 260.

[23] سبق التعليق على هذه الصيغة التي استخرجت من الآية الكريمة، سورة البقرة، الآية 229.

[24] القبول شرط أساسي لتوثيق العقد.

[25] شهود العدول على اتفاق عقد الزواج.

[26] اليتيمة: التي توفي عنها والدها، و صيغة مهملة كما وردت في العقد، أغلب الظن أن فقدان الوالد يترك أثرا سيئا في نفسية الأبناء خاصة البنات منهم.

[27] يقصد بها الوكالة، و شرعا تعني تفويض التصريف إلى الغير، أي أن يقيم إنسان أحدا غيره مقام نفسه في تصرف شرعي معلوم، موروث لحكم شرعي. **عمارة (محمد)**: *قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية*، مصر، دار الشروق، 1993، ص ص 627-628.

[28] يشترط في عقد الزواج الإيجاب و القبول من الطرفين (الزوج و الزوجة). أنظر **شلبي (محمد مصطفى)**: *أحكام الأسرة في الإسلام، دراسة مقارنة بين فقه المذاهب السنية و المذهب الجعفري و القانون*، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، 1973، ص 95.

عين الصبية المذكورة و عرفه بها و بالواجب في ذلك تعريفا كافيا و في كذا و إن كانت بكرا إلى نظر وصي أو مقدم من أخ قلت اليتيمة إلى نظر فلان بحكم الأيمان المذكور الذي جعل له فيه نكاحها قبل البلوغ و بعده دون كشف و لا استمام و قبله الناكح المذكور و التزمه عارفا قدره و أما إن كانت ثيبا أو متوفى[29] عنها قلت مطلقة بواحدة من فلان أو متوفى عنها فلان حلا للنكاح و تأتي على ما تقدم إلى قوله انكحه إياها فلان بإذنها و رضاها و تعويضها ذلك إليه و قبله الناكح المذكور و التزمه على ما قدره شهد على الزوج الناكح و الولي المنكح و الزوجة الثلاثة المذكورين بالمذكور عنهم فيه و هم بحال صحة و طوع و جواز و عرفهم أو عرف بهم و في كذا...[30]

2.1.2- الورقة الثانية[31]:

صداق يحمله والد الزوج هذا ما أصدقه فلان عن ابنه فلان الصغير في حجره و تحت ولاية نظره فلانة بنت فلان الفلاني البكر في حجر والدها المذكور تحت ولاية نظره أصدقها على بركة الله تعالى و حسن عونه صداقا مبلغ نقده كذا و مبلغ كالية كذا مقسطا على الناكح المذكور على أعقاب كذا من تاريخه و تحمل والد الزوج المذكور عن ابنه المذكور بجملة المهر المذكور نقده وكاليه تحملا صحيحا لازما له و ذمته خارجا عن معنى الحمالة و حكمها و سبيلها و على ذلك أو بسببه انعقد النكاح المذكور[32] لا براءة له من ذلك إلا بالواجب تزوجها على الكتاب و السنة و قبل العاقد المذكور هذا النكاح المذكور بما فيه من الصلاح السداد شهد على إشهادهما

---

[29] المرأة التي سبق لها الزواج فكانت إما مطلقة أو متوفى عنها زوجها، فهذا يعد زواج ثان بالنسبة لها.

[30] يقصد بهم شهود الزواج، و هم الشاهدين على عقد الزواج و يوجب عليها توقيع العقد.
-يقال أشهد فلانا على كذا، أي جعله شاهدا عليه، مصداقا لقوله تعالى: "و أشهدوا إذا تبايعتم، و لا يضار كاتب و لا شهيد"، سورة البقرة، الآية 82.

[31] الورقة الثانية للمخطوط، أخذناها كما جاءت مفصلة دون تصرف أم تغيير لنتمكن من إعطاء فكرة دقيقة لأهم ما كتب في الورقة النموذجية.

[32] العقود لا تحتوي على علامات الوقف أو الفاصلة، و فيما ذكر لكل المعطيات بدقة يذكر الأسماء (و لو كانت بصيغة المبني للمجهول فلان و فلانة) و تفصيل العقد بحسب أهميته على كل التفاصيل كثمن المهر و كيفية تسديده، و استشارة الزوج و ضرورة توقيع موافقته حتى يكون العقد صحيحا.

المتناكحين المذكورين أو تقول انعقد النكاح بينهما بكذا حمله عن الزوج المذكور والدها المذكور حملا صحيحا خارجا عن معنى الحمالة و حكمهما و سبيلها لا براءة له من ذلك إلا بالواجب أو تقول لفلان المذكور عن المهر المذكور إلا بما تبرأ به الزمم انعقد هذا النكاح بين الزوجين بكلمة الله تعالى و على سنة رسوله صلى الله عليه و سلم من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان انكحه إياها والدها المذكور بما ملكه الله تعالى من أمرها و جعل بيده من العقد عليها و النظر لها[33] و قبل ذلك الزوج المذكور قبولا تاما و التزم ولده المهر المذكور التزاما و عرف قدره و أشهدوا به على أنفسهم في الصحة و الجواز و الطوع من عرفهم فيه و في كذا عقد إيجابا و وجب فلان بن فلان الفلاني النكاح في ابنته فلانة التي في حجره تحت ولاية نظره بفلان بن فلان الفلاني على صداق مبارك مبلغ نقده كذا و مبلغ كاليه كذا لا براءة له من ذلك إلا بالواجب إيجابا صحيحا معقودا على بركة الله تعالى أمضاه عليها والدها المذكور بما ملكه الله تعالى من أمرها و جعل بيده من العقد عليها و النظر لها بعد أن استأمرت[34] في ذلك كما يجب و قبل الموجب له فلان المذكور هذا الإيجاب المذكور إيجابا تاما و التزمه عارفا قدره شهد عليها بذلك في الصحة و الجواز و الطوع و في كذا عقود الطلاق[35] طلاق رجعي[36] طلق فلان زوجة بن عمه فلانة بعد البناء بها طلقة واحدة رجعية يملك رجعتها ما لم تنقضي عدتها و عرف قدره و شهد عليها صحة و طوع و في جواز آثره و في كذا طلاق قبل البناء[37] طلق فلان زوجة بن عمه فلانة قبل

---

[33]أنظر في عقود الزواج تفصيلا دقيقا مستقى من سجلات المحكمة الشرعية لما تضمنته من جداول و معطيات عن عقود الزواج من مهر و شروط و طرق تسديده. أنظر **خيراني (ليلى)** : *المرأة في مجتمع...*، نفس المرجع، ص ص 201-214.

[34]أي أخذوا برأيها و وافقت.

[35]رفع القيد و المفارقة، و طلق زوجته أي فارقها وحل رباط الزوجية، و هو مشروع بالكتاب و السنة. أنظر **شلبي (محمد مصطفى)** :*أحكام الأسرة...*، نفس المرجع، ص 491.

[36]يملك الزوج ثلاث طلقات، و أن الزوج له بعد الطلقة الأولى أو الطلقة الثانية أن يراجع زوجته، و أن الطلقات الثلاث لا تقع دفعة واحدة. أنظر **أبو زهرة (محمد)** :*الأحوال الشخصية*، القاهرة، دار الفكر العربي، 1950، ص 304.

[37]أي طلقة قبل المدخول بها. في سجلات المحكمة الشرعية أغلب حالات الطلاق هي بعد البناء، و عثرنا على حالة واحدة قبل البناء للزوج سالم معتق أيوب الذي طلق الولية ياسمين معتقة القايد

البناء بها طلقة على سنة طلاق غير المدخول بها و حكمه و سبيله على أن حضر لذلك والد الزوجة و أسقط على الزوج المذكور نصف المهر الواجب لابنته المذكورة على الزوج المذكور بهذه الطلقة المذكورة من المهر نقد وكاليه إسقاطا تاما لما رأى في ذلك لابنته المذكورة من الصلاح و السداد و هي بكر في حجره و تحت ولاية نظره و عرف قدره شهدوا به عليها صحة و جواز و طوع و عرفها و في كذا طلاق مملك[38] طلق فلان زوجة بن عمه فلانة بعد بناية بها طلقة واحدة مملكة ملكت بها أمرها على ما يجب و عرف قدره و في كذا طلاق امرأة غايبة[39] ذكر فلان أن له زوجة غايبة بموضع كذا في بلد كذا اسمها فلانة فإن صح ما ذكره و ثبت ما ادعاه فقد وقع عليها بعد بناية طلقة واحدة ملكها بها أمرها دونها و عرف قدره و شهد عليه بذلك في الصحة و الجواز و الطوع من عرفه و في كذا طلاق خلع[40] اختلعت فلانة لزوجها ابن عمها فلان بعد بناية بها بجميع كاليها قبله و هي عارفة قدره و صفته و أجله و تحملت له بخراج عدتها منه إلى تمامها وان طالت بموته حمل إن ظهر بها منه[41] إلى وضعه وبعده إلى حد سقوط ذلك عنه شرعا و بأجر النفقة[42] و الكسوة و جميع المثون كلها على والدها من فلان الصغير الذي هو إلى حضانتها من الآن إلى سقوط ذلك عنه شرعا

عمر، و قد ردت ياسمين لزوجها كل ما دفعه لها قبل ذلك. أنظر سجلات المحكمة الشرعية، ع 46 ور 252، سنة 1830.

[38] لا يزيل الطلاق الرجعي رابطة الزوجية، فيبقى الملك و الحل عند الحنفية ما دامت المطلقة في العدة، و المراد بالملك حل الاستمتاع، و سائر الحقوق الثابتة بالزواج. أنظر**أبو العينين بدران (بدران)** : *الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية و المذهب الجعفري و القانون-الزواج و الطلاق*، لبنان، دار النهضة العربية، 1967، ص 361.

[39] أي غابت من البلد الذي فيه زوجها، بعد البناء.

[40] الخلع: لغة النزع والإزالة، و في الشرع، إزالة ملك النكاح الصحيح بلفظ الخلع، و معناه المبارأة من تبرئة الشريك، و يلزم الزوجة بعوض تدفعه للزوج فلابد من رضاهما. أنظر **أبو العينين بدران (بدران)** : المرجع نفسه، ص ص 391-394.

[41] عثرنا على حالة إمرأة في المحكمة الشرعية، التزمت فيها المرأة بنفقة أولادها، و إن ظهر منها حمل، مقابل أن لا ينتزعه منها سواءً تزوجت أو تأيمت. م.ش،ع 45 ور 195.

[42] جاء القرآن الكريم صريحا في الحث على نفقة الزوجة و توفير لها متطلبات الحياة: "أسكنوهن حيث سكنتم من وجدكم و لا تضارّوهن لتضيقوا عليهن و إن كن أولاة حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن" (سورة الطلاق، الآية 6).

على أن لا ينتزعه منها سواء تزوجت أو تأيمت أو سافرت أو أقامت أو سافر هو أو أقام ما دامت تجري ما ذكر فإن عجزت أو عدمت في شيء من ذلك فإنه يسقط لها الحضانة الواجبة لها قبله بعد معرفتها بوجوبها لها و تسليمه إليه و قبل ذلك منها زوجها المذكور و خلعها عليه من نفسه من غير ضرر تدعيه و لا إكراه تشتهيه بطلقة خلعية تعرف بها على ما يجب و عرفا قدره و شهد عليها بيده الصحة و الجواز و الطوع و نعت الرجل و نعت المرأة أو تقول من عرفها أو عرف بهما و في كذا طلاق الثلاث[43] طلق فلان زوجة فلانة بعد البناء بها بطلاق الثلاث في كلمة واحدة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره و تمضي على ما تقدم و عرف قدره و أشهد به على نفسه بالصحة و الجواز و الطوع و في كذا فإن كان تقدم له فيها طلقة ثم طلق قبل بعد بناية بها طلقة واحدة ثانية لأخرى تقدمتها و إن كانت ثلاث قلت بعد بناية بها طلقة واحدة صادفت آخر الثلاث فلا تحل له بعد حتى تنكح زوجا غيره[44]، و تمضي على ما تقدم عقود الرجعات[45] ارتجع الزوج المذكور في هذا الصداق زوجة فلانة المذكورة معه فيه من الطلقة الرجعية المقيدة في كذا ارتجاعا تاما فيما حاز له من ذلك و عرف قدره و اشهد به و في كذا مراجعة من طلاق مملك راجع الزوج فلان زوجة فلانة المذكورة معه من كذا من الطلقة المملكة المقيدة في كذا على أن بذل لها في رجعتها هذه كذا و أعادها على كاليها المذكور فيه راجعها على الكتاب و السنة

---

[43] هو الطلاق البائن، الذي لا يملك بعده الزوج إعادة الزوجة بالرجعة، و هو بدوره مقسم إلى بينونة صغرى حيث يستطيع إعادة المطلقة بعده جديد سواء كان في العدة أو بعدها، و بائن بينونة كبرى هو الذي لا يستطيع إعادتها إلا بعد تزوجها بزوج آخر و يدخل بها و ينتهي زواجه بطلاق أو بموت. أنظر **شلبي (محمد مصطفى)** : *أحكام الأسرة*...، نفس المرجع، ص 499.

[44] قال تعالى: "الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، و لا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تتعدوها و من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره" (سورة البقرة، الآية 229 و ما يليها).

[45] الرجعة و المراجعة هي استدامة الزوجية القائمة، و عرّفها الفقهاء أنه إعادة المطلقة طلاقا غير بائن إلى الزواج في العدة بغير العقد. قال الله تعالى: "و بعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا"، (سورة البقرة، الآية 228). تحتوي المحكمة الشرعية على مجموعة كبيرة من وثائق عقود الرجعات: 43 عقدا (1818-1830). م ش، ع 79 ور 5؛ م ش، ع 80-81 ور 22.

راجعها إليه فلان ثم تمضي على ما تقدم عقود التبرعات[46] طاع الزوج فلان المذكور لزوجه فلانة المذكورة أنه لا يغيب عنها غيبة قريبة أو بعيدة طايعة أو مكرهة قبل البناء أو بعد و أزيد من كذا فإن غاب عنها.

3.1.2- الورقة الثالثة[47] (تكملة):

أزيد من كذا فقد جعل أمرها بينها في طلقة واحدة مملكة و صدقها في دعوى المغيب و المنقض من الأجل تصديقا مطلقا دون بينة و لا يمين تلزمها في ذلك و لا مشورة قاض و لا سواه و لها التلوم عليه ما شاءت و التربح ما أحبت لا يقطع تلومها شرطها طوعا صحيحا عرف قدره و أشهد به في كذا تطوع بالداخلة خارجة طاع فلان المذكور لزوجة فلانة المذكورة بأن الداخلة عليها بنكاح أو مراجعة طالق بنفس العقد عليها إلا بإذنها و رضاها طوعا صحيحا عرف قدره و أشهد به في كذا تطوع بسكن المدينة تطوع الزوج فلان لزوجه فلانة المذكورة بأن لا ينقلها بالسكن من بلد أو جزر كذا إلا بإذنها و رضاها و متى أكرهها على ذلك فقد جعل أمرها بينها في طلقة واحدة[48] مملكة طوعا صحيحا عرف قدره و في كذا تطوع بالنفقة على الربيب[49] تطوع الزوج فلان لزوجه فلانة بأجر النفقة و الكسوة و ساير المثون كلها على ولدها من غيره فلان من الآن طول بقاء الزوجية بينهما مع بقاية إلى حضانتها من غير شيء يجب بها عليه في ذلك و لا على أحد بسببه طوعا صحيحا عرف قدره و في كذا خلع

---

[46] أو الصدقات أو الهبات: و الهبة شرعا هي تمليك عين بلا عوض، و معنى ذلك أن الشخص الذي يملك عينا ملكا صحيحًا يصح له أن يملكها غيره من غير أن يتوقف ذلك التمليك على عوض يأخذه صاحب العين الموهوب له. **بصمه جي (سائر)** : *معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي*، سورية، صفحات للدراسات و النشر، 2009، ص ص 593-594.

[47] الورقة الثالثة من المخطوط مكتوبة بغير تصرف.

[48] تحتوي عقود المحكمة الشرعية على عقود زواج تشترط فيه الزوجة على الزوج "أن لا يتزوج عليها و لا يتسرى مع غيرها إلا بإذنها...". م ش، ع 17 ور 53. و في وثيقة أخرى اشترطت المرأة "أن لا يرد الزوج مطلقته...". م ش، ع 59 ور 11. و أنظر:

BEN CHENEB (S.) : « Un contrat de mariage algérois au début du XVIII[e] siècle », *Annales de l'Institut des Etudes Orientales*, XIII, 1955, pp. 98-117.

[49] أي نفقة ابن الزوج من امرأة أخرى.

المحجورة[50] اختلعت عن إذن قاضى الجماعة بكذا أعزه الله لزوجها فلان بجملة الكالي أمضى ذلك من ذكر أعزه الله أم جله كليا و لها فيه من المصلحة و سديد النظر و قبل ذلك الزوج المذكور ثم تمضى إلى شهد تقول شهد على من ذكر أعزه الله بما فيه عنصر إشهاد الزوجان المذكور أن بما فيه عنهما و هما بحال صحة و طوع و جواز من الرجل مطلقا و من المرأة في هذا الطلاق بالغيبة المشروطة[51] للقاضي ذكرت فلانة المذكورة في هذا الصداق أن زوجها فلان المذكور معها تطوع لها أنه لا يغيب عنها غيبة قريبة أو بعيدة طايعا و لا مكرها قبل البناء بها أو بعده أزيد من كذا و إن غاب أزيد من كذا فقد جعل أمرها بيدها بطلقة واحدة مملكة و صدقها في دعوى المغيب و المنقضى من الأجل تصديقا مطلقا دون بينة و لا يمين يلزمها و لا مشورة و لا سواه و لها التلوم عليه ما شاءت و التربح ما أحبت لا يقطع تلومها شرطها فذكرت أن زوجها المذكور غاب أزيد من الأجل المذكور فذهبت إلى الأخذ بشرطها فأخذت به و طلقت نفسها على زوجها المذكور قبل البناء طلقة واحدة مملكة حسب ما شرطها في الصداق المذكور و عرفت قدر ذلك و أشهدت على نفسها في الصحة و الطوع و الجواز و نعتها كذا و في كذا عقد رفع الزوجة أمرها إلى القاضي رفعت فلانة بنت فلان الفلاني إلى قاضي الجماعة بكذا أعزه الله تعالى و حرسها أمرها شاكية و مشتكية بمغيب زوجها عنها فلان المذكور معمد فيه بعد[52].

2.2- محتوى بقية أوراق المخطوط:

ما يمكن استخلاصه من نص المخطوط الصيغة النموذجية لعقود الزواج التي وردت على المحكمة الشرعية، فلاحظنا حرصا شديدا على تطبيق ما تنصه الشريعة

---

[50] الواقع عليها الحجر.

[51] وردت حالات كثيرة في المحكمة الشرعية تُطلّق فيها المرأة نفسها، في حالات غياب الزوج لمدة من الزمن، و بعدما ترفع الدعوى للقاضي الذي ينظر في الأمر، و يتأكد من الدعوى يطلقها حسب ما نصت عليه الشريعة الإسلامية.

[52] تنتهي الورقة الرابعة من مخطوط عقود، و هي الأخرى مكتوبة بشكلها الأصلي دون تصرف، و كلها نماذج أخذناها لتوضيح ما جاء في نماذج عقود، و كيف كانت تكتب القضايا التي تعرض على القاضي الشرعي، و بعد هذه الورقة سنحاول اختزال الديباجات الواردة في الورقات المتبقية، و نكتفي بما جاء في المواضيع المتناولة فيها، و هنا يأتي الاختصار على العناوين و المواضيع المتناولة.

الإسلامية من قواعد التي تنظم قضايا الزواج و الطلاق و المهر و النفقة و الرجعة، و غيرها من الحالات التي يلجأ الأفراد عادة للقضاء، لتوثيقها و تثبيتها في عقود المحكمة، و سنحاول الوقوف على كل الحالات الواردة في المخطوط[53]، فبعد زواج البكر و الثيب، وجدنا:

-عقد أخذ امرأة بشرطها[54]، و ذلك بعد وفاة زوجها حيث ذكرت المرأة أن زوجها فلان شرط لها في صداقها أن كلما غاب عنها و تمضي على ما تقدم إلا قوله لا يقطع تلومها في شرطها فأخذت به و طلقت نفسها بنفسها طلقة واحدة.

-عقد النسب[55] نسب البكر اليتيمة: فشهد من يعرف المرأة معرفة صحيحة بأنها بكر يتيمة مهملة بالغة في عمرها لم ينعقد عليها نكاح قط في علمهم، خاطبها فلان المعروف عنه بمثل المعرفة، أن المهر الذي بذله لها نقده كذا وكاليه كذا مقسطا بالسواء و الإعتدال، و لا يعلمون لها وليا يعقد نكاحها إلا الشرع، و قيد الشهود شهادتهم.

-سبب وفاة الزوج[56]: شهد هذا الرسم من يعرفون الزوجين كانا فلان و فلانة يعلمون صحة الزوجية بينهما و اتصالهما إلى أن توفي الزوج و عفا الله عنها و عنه، و لا يعلمون أن الزوجة تزوجت غيره بعد انقضاء عدتها، و ليس لها وليا و وقع العهد.

-تثبيت طلاق[57]: شهد هذا الرسم من يعرف الزوجين فلان و فلانة المذكورين في رسم الصداق معرفة صحيحة تامة، إلى أن طلقها الطلاق المرسوم فوقه و لا يعلمون إن كانت تزوجت غيره حتى الآن، و لا يعرفون لها وليا إلا القاضي و قيّدو ذلك بشهادة

---

[53] نقلنا الصفحات الأربعة للمخطوط نقلا حرفيا دون التصرف فيه، و لكن ما سيرد الآن هو أخذ لنماذج المتبقية للمخطوط و لكن هذه المرة بتصرف و إعطاء أهم النماذج، حتى يتسنى للباحث أخذ فكرة دقيقة عن ما يتضمنه المخطوط.

[54] و هو كالي الصداق، تأخذه المرأة على ما تبقى لها من المهر، في حالة وفاة زوجها من تركته، فالموت يؤكد بتمامه، سواء أكان الذي مات هو الزوج أو الزوجة، و بالموت لا يفسخ العقد، فصار دينا على الزوج. بدران، نفس المرجع، ص ص 205-206.

[55] النسب حق من الحقوق الشرعية، و هو مشترك بين الله تعالى و أطراف النسب هم الأب و الأم و الولد. نفسه، ص 489.

[56] حالة شهادة تثبت أن المرأة بقيت متزوجة إلى أن توفي زوجها.

[57] تثبيت رسم شهود لعقد طلاق زوجين.

الشهود، ثم بعد ذلك تراجعا من الطلاق المذكور على أن يبذل لها في رجعتها هذه كذا و كذا (من المهر) لا براءة له إلا بإذنها، و قبل الزوج المذكور و ثبت الرسم بصحته.

-و في كذا إثبات بالدخول[58] : و في هذا الرسم تثبيت الزواج، و معرفة الشهود به الى أن صار الطلاق.

-و في كذا عقود الاستدعاءات[59] : و هي إثبات الشهود أن الزوج الفلاني يضر بزوجته فلانة معرفة صحيحة و أنه أذاها أكثر من مرة بالضرب و التخويف و غير ذلك و لم يزل على ذلك إلى أن اختلعت منه الزوجة، و قيدوا ذلك في الرسم.

-و في كذا استدعاء صالح حال[60]، شهد هذا الرسم و يعرفون فلان بعينه و اسمه معرفة صحيحة تامة و يعلمون أن من أهل الفقه و الصيانة و الثقة و الأمانة مشتغلا بما يعنيه مستقيما في أحواله مخالطا أهل الخير مجانبا لأهل الشر ممن لا تلحقه تهمة مستمرا على هذه الحالة حتى الآن، و قيدوا بذلك شهادتهم.

-إستدعاء في تعديل يعرف به فلان أن عادلا في شهادته و قوله مهن يجب أن تقبل شهادتهم و يقتضي بها و قيدت الشهادة في الرسم.

-إستدعاء في تجريح بعداوة[61]، و ذلك بوجود عداوة بين فلان و آخر و قيدت بها.

-إستدعاء في ترشيد محجور[62]، يشهدون أنه رشيد في أحواله حسن النظر بنفسه ضابطا لما ولي النظر فيه من ماله عارفا يحدقه و طرق مراشده ممن يستحق أن يرشد و يملك أمر نفسه، قيدو بذلك شهادتهم.

-ترشيد الأب[63]، لما تبين بفلان ترشيد ولده، و أطلقه من ثقاف الحجر الذي ألزمه حكمه و ألحقه بالرشد المالكين أمور أنفسهم و أموالهم على العموم و الإطلاق.

---

[58] شهادة بأنه تم النكاح الصحيح، حسب ما نصت عليه الشريعة الإسلامية، و بعدها وقع الطلاق.

[59] وردت في عقود المحكمة الشرعية حالات لجأت فيها المرأة للقاضي تشتكي من زوجها بسبب ضرب مبرح، فحكم لها القاضي في كثير من الحالات بالإنصاف و خيّرها في أمرها و كسب الدعوة. م ش، ع 31 ور 89.

[60] شهادة في حق شخص شهد له بالأمانة و سداد الرأي.

[61] إثبات عداوة بين طرفي النزاع.

[62] يثبت هذا الرسم شهادة في حق شخص حجر عليه أنه في كامل صحته العقلية، و أنه ثابت لأهليته.

[63] نفس الشهادة تقريبًا.

-استدعاء في مغيب الزوج[64]، شهد هذا الرسم الزوجين فلان و فلانة المذكورين في هذا الصداق أن الزوج غائب بعد البناية بها غيبة متصلة، لا يعلمون إن ترك لها نفقة و لا كسوة و لا شيئا تمون به نفسها، و لا أن رجع من غيبته المذكورة حتى أن عصمة النكاح انقطعت بينهما حتى الآن كل ذلك في علمهم و قيدوا ذلك.

-و حلف القاضي الزوجة المغيب عنها زوجها[65]، و انقطاع نفقته عنها و على جميع ممول فطلقت نفسها عن إذن من ذكر على زوجها، و بعد البناية بطلقة واحدة رجعية يملك بها رجعتها إن قدم موسرا في عدتها.

-إستدعاء في إثبات ملك[66] : شهد هذا الرسم فلانا عينا واسما معرفة صحيحة تامة و يعلمون له و بيده و على ملكه مالا من أمواله و ملكا صحيحا من ملكه جميع كذا الكاين بمدينة كذا حرسها الله، و لا يعلمون أنه باعه أو تصدق به و لا خرج عن ملكه بوجه من الوجوه.

-إستدعاء في إثبات دابة[67]، أن لفلان حمارا أو بغلا أو فرسا أو غير ذلك من الدواب و قيد الرسم بشهادة الشهود.

-إستدعاء في موت وعدة ورثة، يعرفون فلان بعينه و اسمه، و أنه توفي رحمه الله فورثته زوجة فلانة و أولاده منها أو من غيرها فلان و فلان فإن لم تكن له زوجة قلت بنوه، فإن لم تكن له بنوة قلت إخوته فإن لم يكن له إخوته قلت ابن عمه فلان لا وراث لمن ذكرت وفاته سوى من ذكر. و وثق الرسم.

-إستدعاء في موت ورثة بالسماع الفاشي، أن فلان توفي ببلد كذا منذ كذا و أن أهل الإحاطة بميراثه زوجة فلانة و أولاده منها أو من غيرها...

-إستدعاء في إسقاط حضانة[68] : شهد هذا الرسم أن الزوجة التي كانت لفلان إلى أن طلقها و يعلمون أنها غير مأمونة على حضانة ابنها فلان، إذ لا يؤمن عليه عندها و

---

[64] إثبات غياب الزوج.

[65] شهادة إثبات حال امرأة غاب عنها زوجها و تركها دون مؤونة و لا نفقة فحكم لها القاضي بحرية الطلاق.

[66] رسم ملكية.

[67] شهادة ملكية (الدابة) و منها الحمار، البغل، الفرس...

[68] من شروط الحضانة هي البلوغ و العقل و الحرية، و القدرة على تربية المحضون و حفظه و

يتوقع أن يكون عندها في غير حرز و لا كفاية و لا يعلمون للابن المذكور حاضنة غير أبيه المذكور الذي ذكر فوقه، و قيدو بذلك الشهادة.

-إستدعاء في الضرر[69]، "حيث كانت فلانة في عصمت فلان و كان يضربها و اتصل إضراره بها إلى أن اختلعت له بكاليها قبله و بخراج عدتها منه من غير اختيارها و لا طيب نفس منها بل فرارا منه و خوفا من أضراره"، و قيد الرسم.

-إستدعاء في مغيب الأب ابنته البكر[70]، "أن فلان الأب غاب عن ابنته فلانة البكر البالغ في سنها، و أنها مضطرة إلى أن يعقد نكاحها ممن خطبها".

-إستدعاء في شفعة[71]، يذكر أن فلان ابتاع حظ أخيه فلان من الأملاك المشتركة بينهما على الإشاعة و أنه لجاهه و قدرته لمن يأمن أن قام عليه بالشفعة الواجبة له أن يضره في نفسه و ماله فاستدعى هذه الشهادة.

-إستدعاء في تأخير مقدم، و هي شهادة في شخص لحقه العجز عن النظر إلى المحجور لكثرة اشتغاله و التصرف في معيشة عن أهله و ولده، فهو لا يستطيع النظر في شتى مصالح الأولاد، و تعويض هذا الشخص بشخص آخر.

-إثبات ملاطفة[72]، و هي إثبات لشخصين التواصل و التوالف و الصداقة و المحبة و التودد بينهما حتى الآن، و لم يقع بينهما آبدا تنافرا، إثبات الرسم.

-إستدعاء في اختلال عقل[73]، و هي شهادة في شخص أثبت اختلال عقله و اعتلال ذهنه و بالتالي لا يعرف مصالحه و لا اختلاف منفعة ما بيده من العقار و بالتالي يخشى عليه من الضياع و عليه إيجاد من ينوب عنه في إدارة شؤونه.

رعاية شؤونه، فإذا كان الحاضن أو الحاضنة عاجزا عن القيام بذلك لا تثبت حضانته. بدران، نفسه، ص 550.

[69] سبق ذكره.

[70] شهادة بغياب الأب.

[71] الشفعة هي بضم الشين و سكون الفاء في الملك معروفة، و هي مشتقة من الزيادة، لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه، فيشفعه به، كأنه كان واحدًا وترًا فصار زوجا شفعا، و في حديث شعبي "الشفعة على رؤوس الرجال"، و ذلك أن تكون الدار بين الجماعة مختلفي السهام، فيبيع واحد منهم نصيبه فيكون ما باع لشركائه بينهم على رؤوسهم لا على سهامهم.

-**الشرباصي (أحمد)** : *المعجم الإقتصادي الإسلامي*، الجزائر، بيت الحكمة، 2010، ص 134.

[72] و هي رسم بصداقة

-و نوع آخر لشخص يعتريه في بعض الأوقات[74] (شيء من الشيطان الرجيم) فصار به اختلال في عقل هو اعتلال في ذهنه و في أكثر أحواله هو سفيه في أحواله سيء النظر في نفسه و عليه إيجاد من ينوب عنه في التصرف بماله و منافعه.

-إستدعاء في فك أسير، و هو إثبات وقوع شخص في أسر العدو، و أنه لا يملك أن يخلص من الأسر (الإفتداء)، فطلب من المحكمة أن يفدى من مال وصايا المسلمين و صدقاتهم.

-إستدعاء في رفع العدم، و هي شهادة شخص أنه صالح الحلال في ماله و تصرفه ممن يرتفع عنه اسم العم و لا يقع عليه لصحة حاله.

-عذر في الفرح المقدر، و هو شهادة لشخص و هو في حال ضعف و إقلال لا يستطيع عن أداء فرح عليه من فرح ابنيه (و هما في حضانة أمهما) و يتعهد بتقديم درهم واحد كل يوم، و ثبت الرسم.

-قيد أهل المعرفة و السداد، في إثبات ملكية لشخص، و أخرى تثبيت لعقود البيع و أخرى حكم لنسخ عقد البيع من أجل العيب و هو لبغل بعد معاينته ثبت أنه أعرجا بيده اليمنى، و حكم عليه القاضي بإرجاع البغل و إعادة المال لصاحبه.

-وقوف القوابل على عين الحامل[75]: و هي وقوف القوابل (القابلات) ذوات الثقة، على فحص امرأة فلانة و أثبت شهادة بأن المرأة حاملا ظاهرا عليها منذ كذا... وقيدنا ذلك في رسم. وقوف الأطباء على عين المجروح، و هي شهادة من أهل المعرفة و البصر بالجراحات و أقروا بأن به جراحة في رأسه و يده طولها كذا... و عرضها كذا... و يمكن أن تسبب له الوفاة، و قيدو بذلك تصادقهم.

-عقد التدمية[76]، عقد آخر لشخص أصيب بجروح عمدية من شخص لا على وجه

---

[73] رسم لشخص شهد عليه بفقدان أهليته.

[74] شخص شهد له بمس من الشيطان أدى ذلك به اختلال في عقله.

[75] القابلة: هي المرأة التي تقوم بتوليد النساء؛ وردت كثير من وثائق دفاتر التركات بلفظ القابلة، و تعد من أهم الحرف الخاصة بالمرأة في مدينة الجزائر في العهد العثماني. أنظر **خيراني (ليلى)**: "إسهام النساء في النشاط الاقتصادي خلال العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، العدد47، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،2013، ص ص 438-427.

[76] و هي نسبة للجروح (الدمية) البالغة الخطورة.

الخطأ، و أن جروحه خطيرة يمكن أن تسبب له الوفاة.

-عقد الوكالات[77] : وكالة على عقد زواج بكر، حيث وكل شخص على زواج ابنته من شخص آخر.

-عقد وكالة بطلب البناء[78] : وكلت فلانة فلان على طلب فلان الذي لم يبن بها بعد البناء بها و الدخول عليها و ضمها إلى نفسه توكيلا تاما أقامته في ذلك. و ثبت الرسم.

-توكيل على خصام، وكّل فلان فلانا على طلب حقوقه كلها و إبرازها و إظهارها على المحاكمة و المخاصمة.

-توكيل مبلوغ مستثنى[79]، و هو توكيل شخص شخصا آخر في جميع أموره المالية كلها تعويضا عاما. ما لم يستثنى عليه فصلا و لا معنى قول كان فعلا باستثناء تقويت أهل أو ما يؤدي إلى تقويته فإن لم يجعل له إلى ذلك سببه، و ما عدا ذلك يصح التوكيل.

-توكيل على بيع[80] : توكيل شخص على بيع الدار و الحوانيت بمنطقة كذا و بثمن كذا، و هو تفويض مطلق.

-توكيل خصام : توكيل فلان لفلان لطلب حقوقه كلها و إبرازها من جراء مخاصمة.

-توكيل على الأكرية[81] : توكيل فلان لفلان على عقد الأكرية في ماله من ريع.

-توكيل على قبض الدين، و هو توكيل فلان لفلان على قبض عشرة دنانير مترتبة له من فلان.

-توكيل بالقوام و رفع الضرر، و هي فلانة وكلت فلان على طلب زوجها بالقوام عليها و

---

[77] جمع وكالة، سبق شرحها.

[78] أي الزواج.

[79] أي بصفة ثنائية.

[80] البيع هو عقد معاوضة على غير منافع، كما هو عقد إلتزام المتعاقدين و تعهدهما أمرا و هو عبارة عن ارتباط الإيجاب و القبول. **حيدر (علي)** : *درر الحكام شرح مجلة الأحكام، المجلة1* ، بيروت، دار الجبل، 1991، ص ص 103-105.

[81] الإيجار أو الكراء هو عقد على المنافع بعوض و هو المال، و يشترط فيه المنفعة أن تكون ممكنة التقويم، بحيث يمكن منعها، و معلومة و مقدورًا على تسليمها للمستأجر و غير محرمة، و يسمى صاحب العملية بالمستأجر أو آخذ الأجرة و الذي يستأجر الأجير و الشيء الذي أُعطي بالكراء يقال له المؤجر أو المستأجر. **بن حموش (مصطفى)** : *فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 1549-1830م*، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 2000، ص 37.

رفع الضرر عنها.

-عقود السلم في القمح[82]، و هو قبول شخص من شخص آخر كمية من القمح و شهد له على سلامتها من العيوب.

-عقود السلم في الشعير، نفس الصيغة.

-عقود السلم في الفحم، قبل فلان في ماله و ذمته قنطارا و أربعة من فحم البلوط المحكم الحرق السالم من جميع العيوب.

-السلم في الزيت، قبل خلال كذا من قنطار من الزيت بكيل الأخضر الطيب الصافي السالم من جميع العيوب.

-السلم في السمن، قبل فلان قنطارا من سمن البقر.

-السلم في الحنة، قبل فلان قنطارا من الحنة المعدة للطخ الطيب السالمة من العيب.

-السلم في الكتان.

-عقود السلف[83]، قبل فلان من في ماله و ذمته كذا من دينارا ذهبا من سلم صحيح.

-سلف الزرع، سلفا من القمح و الشعير.

-عقود دين على اثنين، قبل فلان و فلان و في أموالهما و ذمتهما بالسواء بينهما لفلان كذا دينارا ذهبا بثمن سلعة ابتاعها منه يؤديان له ذلك عند انقضاء كذا لا براءة لهما من ذلك.

-عقد دين على جماعة[84]، ترتب لفلان و فلان على التجزئة، و في أموالهم و ذمتهم لفلان كذا و كذا من الدينار ذهبا من معاملة في سلع ابتاعوها منه و قبضوها بعد التقليب و الرضى.

-بقية من شراء ملك: قبل فلان و في ماله و ذمته لفلان كذا دينار من الذهب من جملة ثمن الدار التي اشتراها من فلان يؤديها له عند انقضاء الحاجة، لا براءة له من ذلك.

-تأخير بدين[85] لما ترتب لفلان من دين مذكور، طلب في رسالة تأخير الدين إلى انقضاء

---

[82] أي سلامة القمح من التلف و الشوائب.

[83] السلف أو الدين

[84] دين على أكثر من شخصين.

[85] تأجيل دفع الدين.

كذا من تاريخ، فقبله فلان و التزمه بالعدة المذكورة.

-اقرار رجل لابنه بدين[86] : أشهد فلان على نفسه، لابنه فلان الصغير في حجره كذا دينارا ذهبا من تركة أمه المتوفاة فلانة و أنفقهما فلان المذكور في مصالح نفسه فلزمت ماله و ذمته يودى له ذلك بوجه الحلول و حكمه لا براءة له من ذلك لا بالواجب.

-إقرار الرجل لزوجه[87] : أشهد فلان على نفسه أن جميع ما اشتمل عليه البيت الذي يسكنه مع زوجه فلانة من الدار من الغطا و الوطا و القليل و الكثير لزوجه فلانة.

-بقية من دين كراء دار[88] : أشهد فلان على نفسه أنه بقي قبله و في ماله و ذمته لفلان كذا دينار من سكنه من كراء الدار.

-دين و ضمان[89] قبل فلان و في ماله و ذمته لفلان كذا دينار ذهبا ثمن ثياب ابتاعها منه و قبضها كما يجب أن يؤدي له ذلك عند انقضاء كذا من التاريخ.

-عقود الضمان: ضمان الوجه فإن لم يحضره و الأغرم، ضمن إحضار وجه فلان لفلان بالمجلس الحكم الشرعي من كذا عند انقضاء كذا من الوقت.

-ضمان المال: ضمن فلان لفلان عن فلان كذا دينار مترتبة لفلان المذكور و قبل هذا الأخير الضمان.

-ضمان السماسر: ضمن فلان فلانا في جميع ما كان عليه في أمتعة الناس من الصوف ضمانا تاما لازما.

-براءة من ضمان المال: دفع فلان الفلاني عن فلان بحكم ضمانه عنه الضمان المرسوم فوقه جملة كذا دينار مترتبة لفلان فقبضه منه قبضا تاما صحيحا، و صارت بيده و حوزه و البراء منه ثبت الرسم.

-براءة من ضمان[90] : دفع الغريم قبض فلان من غريمه فلان جملة كذا المترتبة له قبله من كذا، ضمان فلان قبضا تاما و ابرأه منه إبراء عاما.

---

[86] تثبيت دين.

[87] إشهاد رجل على نفسه بأن كل ما يوجد في البيت من أثاث و مفروشات هو لزوجته.

[88] إقرار ببقاء ثمن كراء منزل.

[89] إثبات دين، و إقرار على ذلك.

[90] تبرئة ذمة من دين.

-ضمان ضاع.
-عقود الأكرية[91].
-عقد كراء فرن[92].
-عقد كراء حمام.
-عقد كراء أرض.
-كراء مرمّة[93] : اكترى فلان من فلان وكيلاهما حايك مرمّة واحدة معدة للنسيج.
-كراء مطمورة، كراء جميع المطمورة التي من البيت الغربي.
-كراء جنان[94].
-عقود الشركة.

3. أهمية المخطوط في دراسة تاريخ الجزائر الحديث:

أثبتت مجموعة المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية حرص الإدارة العثمانية على العناية بوقائعها و المحافظة عليها، و نستشف ذلك من خلال كتابة رسائلها على ورق جيد و كبير و مقاوم أيضا، و على الرغم من تأثرها منذ بداية الاحتلال إلى العبث و الإهمال، إلا أن سلم العديد منها[95]، ويقر **ألبير دوفو** بنحو مائة ألف وثيقة من وثائق الإدارة العثمانية مرّ على يديه[96]، و قد نوه بأهميتها، و بذل جهودا كبيرة من أجل استخراج المعلومات التاريخية منها، و لعل مخطوط العقود واحد من آلاف العقود التي تكتنزها المكتبة، يتعيّن علينا الآن بعد دراستها إثبات الفوائد الإخبارية التي تفيدنا في كتابة تاريخ الجزائر الفترة الحديثة كتابة قيمة و موضوعية.

---

[91] جمع كراء.
[92] المكان الذي تطهى فيه مادة الخبز.
[93] نوع من اللباس النسائي، يوضع على الرأس و يستعمل للخروج.
[94] المزرعة.
[95] **حماش (خليفة)** : *كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بالمكتبتين الجزائرية و التونسية*، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية، قسنطينة، نوميديا، 2010، ص 8-9.
[96] أول محافظ الأرشيف بالجزائر، عينته الإدارة الفرنسية سنة 1848م.

تبلغ أهمية المخطوط بالوقوف على أهم الهيئات الرسمية الإدارية التي ركزت عليها الإدارة العثمانية منذ تواجدها بالجزائر، و هي هيئة القضاء الشرعي، فلعبت هذه المؤسسة دورا كبيرًا و أساسيًا في المجتمع بكل جوانبه السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية، و هذا المخطوط الذي يقدم لنا نموذجا توضيحيا قيما يفصل لنا في مختلف أنواع القضايا التي كانت تطرح على طاولة القاضي الشرعي، الذي لمسنا فيه حرصا كبيرا على توثيقها، و على تطبيق قراراتها المستمدة من الشرعية الإسلامية بمختلف مذاهبها[97]، و عليه كان من الضروري جدا معرفة هذا المخطوط و الإطلاع على المعلومات الواردة فيه، و محاولة مقارنتها بما تحتويه فعلا العقود الأصلية التي تكتنزها وثائق سجلات المحاكم الشرعية الموجودة في مركز الأرشيف الوطني[98]، فجاءت صياغة العقود متشابهة لحد كبير، فقط الأولى جاءت بصيغة المبني للمجهول، و عدا ذلك هناك تقارب كبير من حيث الطرح و المعطيات، و كله بشهادة الشهود و أخيرا تثبيت الرسم الذي يبقى صفة الشرعية لهذه العقود، و الأكيد أن هذا المخطوط تعرض للتلف و الضياع حيث انتهت ورقته الأخيرة بنموذج أخير لم يذكر تفاصيله، و هذا واضح من خلال ما كتب في آخر العقد[99]، و رغم ذلك يبقى المخطوط مهم جدا يفيدنا في الدراسة المعمقة للوثائق الشرعية التي لا غنى عنها في إعادة كتابة تاريخ الجزائر كتابة دقيقة و جادة في آن واحد، نعتمد فيها على أمهات الأصول من التأليف من وثائق و مخطوطات، و مخطوط عقود واحد من الملايين من الوثائق التي لا تزال في مادتها الخام تحتاج إلى دراسة و تفصيل، و تعد دعما حقيقيا للدراسة الحديثة الجادة.

---

[97] و كان القاضي المالكي و الحنفي يعقد اجتماعاتهما كل يوم الخميس في الجامع الكبير، و كان من حق أي شخص إذا أحس بضرر حقوقه أمام هذا المجلس أن يعيد النظر فيها على ضوء النصوص الشرعية. أنظر **حماش (خليفة)** : *العلاقات بين إيالة الجزائر و الباب العالي 1798-1830م*، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1988، ص 63.

[98] للتعريف بوثائق سجلات المحاكم الشرعية، أنظر **خيراني (ليلى)** : *واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر، دراسة مستقاة من مصادر محلية 1800-1817م*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006، ص ص 13-25.

[99] سبق و أشرنا إلى ضياع الوثائق و تلفها.

خاتمة:

إن قراءة متأنية "لمخطوط العقود" تفرض على الباحث في الدراسات الأرشيفية الوقوف على لغة الوثيقة الأرشيفية من خلال تقديمه لنا لصورة متكاملة لنماذج العقود الصادرة من المحكمة الشرعية، فبالرجوع إلى الفترة المقيد بها هذا المخطوط نجد أننا في فترة القرن 17 ميلادي، الحادي عشر للهجرة، فترة متصلة بأحداث سياسية و علاقات اجتماعية و معاملات يومية بين الأفراد، هو ما يعطي لنا صورة واقعية عن العادات و التقاليد السائدة في مدينة الجزائر، و كيف كانت تتم المعاملات بين الأفراد بعضهم ببعض و أخرى مع المحكمة الشرعية، مما يجعلنا نقّر بحق أنه مصدر أساسي يعرفنا بواقع النشاط الاقتصادي في الجزائر و مظهرا من المظاهر الاجتماعية التي عاشها الجزائريون في تلك الحقبة الهامة من تاريخها، كما عرفنا بمصطلحات ذلك العصر إقتصادية و تجارية و نقدية و أزيد من هذا إلى أي مدى عرف المجتمع ضبطا لمتلكاتهم و صونها، و وعيا إجتماعيا و دينيا، و ذلك بمعرفة الحقوق و الإلتزام بالواجبات.

فسعينا من خلال هذا البحث تسليط الضوء على أهمية دراسة هذا المخطوط الذي يعد نقطة أساسية تدفع الباحث لاستغلال المصادر الأولية و وثائقها الأصلية، و التركيز فيها على البحوث المعمّقة و الرؤى المتفحصة القائمة على المقارنة و النقد إنطلاقا من التراث المخطوط و مخطوط العقود يمثل عينة متميزة هامة لفهم حقيقي للدراسة المجهرية لتاريخ الجزائر الحديث.

المصادر:

-القرآن الكريم.
-المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر، 1362، مجهول، عقود.
-مركز الأرشيف الوطني، بئر خادم، الجزائر، سجلات المحكمة الشرعية.

المراجع باللغة العربية:

-**أبو العينين بدران (بدران)** : *الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية و المذهب الجعفري و القانون-الزواج و الطلاق*، لبنان، دار النهضة العربية، 1967.

-**أبو زهرة (محمد)** :*الأحوال الشخصية*، القاهرة، دار الفكر العربي، 1950.
-**الحلوجي (عبد الستار)** : *المخطوط العربي*، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2002.
-**الشرباصي (أحمد)** : *المعجم الإقتصادي الإسلامي*، الجزائر، بيت الحكمة، 2010.
-**الشرنباصي (السيد)** : *أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية*، لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، 2002.
-**بصمه جي (سائر)** : معجم *مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي*، سورية، صفحات للدراسات و النشر، 2009.
-**بن حموش (مصطفى)** : *فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 1549-1830م*، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، 2000.
-**حسن محمد (نبيلة)** : *في الوثائق و المخطوطات*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005.
-**حماش (خليفة)** : *كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بالمكتبتين الجزائرية و التونسية*، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية، قسنطينة، نوميديا، 2010.
-**حماش (خليفة)** : *العلاقات بين إيالة الجزائر و الباب العالي 1798-1830م*، رسالة ماجستير، الإسكندرية، 1988.
-**حيدر (علي)** : *درر الحكام شرح مجلة الأحكام، المجلة1* ، بيروت، دار الجبل، 1991.
-**خيراني (ليلى)** : *واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر، دراسة مستقاة من مصادر محلية 1800-1817م*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006.
-**خيراني (ليلى)** : *المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، 1818-1830، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية*، دكتوراه العلوم، جامعة الجزائر2، 2012.
-**خيراني (ليلى)** : "الوثائق العثمانية، أدوات هامة لإبراز واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، 2012، العدد 44، 21-34.
-**خيراني (ليلى)** : "إسهام النساء في النشاط الإقتصادي خلال العهد العثماني"، *المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية*، العدد47، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، تونس، 2013، 427-446.

-**شلبي (محمد مصطفى)** : *أحكام الأسرة في الإسلام، دراسة مقارنة بين فقه المذاهب السنية و المذهب الجعفري و القانون*، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، 1973.
-**عمارة (محمد)** : *قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية*، مصر، دار الشروق، 1993.
-**فراج حسين (أحمد)**: *أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية*، الدار الجامعية.
-**سعيدوني (ناصر الدين)** : "نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر و مكانتها في تاريخ الجزائر الحديث"، *مجلة التاريخ*، العدد 4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر،1977، 135-155.

المراجع باللغة الأجنبية:

-BEN CHENEB (S.) : « Un contrat de mariage algérois au début du XVIII^{e} siècle », *Annales de l'Institut des Etudes Orientales*, XIII, 1955.
-FAGNAN (E) : Catalogue général des manuscrits, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1ère tranche du n°1 au n°1987, 2^{e} Edition, Alger, 1995.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية و البحر المتوسط
المجلد: 2 العدد 2 ص ص 75-95
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/06/12) تاريخ القبول (2022/12/15) تاريخ النشر (2022/12/29)

وصف المصادر المحلية للمدن الساحلية الجزائرية خلال العهد العثماني

Description of local sources relating to the Algerian coastal cities during the Ottoman period

شارف رقية♦
المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان، الأغواط
البريد الالكتروني: Charrekia@yahoo.fr

ملخص:

كان و مازال موقع الجزائر الاستراتيجي المفتوح على البحر الأبيض المتوسط أحد أهم العوامل التي رسمت تاريخ الجزائر، و حددت مساره، و من أهم فتراته التاريخية الفترة العثمانية 1519-1830 حيث كانت المدن الجزائرية الساحلية في قلب أحداث البحر الأبيض المتوسط كالهجرة الأندلسية و الصراع الحضاري بين الخلافة العثمانية الاسلامية و التحالف الغربي بقيادة إسبانيا و البرتغال. هذا ما دفع بالمؤرخين المحليين إلى وصف المدن الساحلية الجزائرية بعدة أوصاف: ثغور حربية، رباطات، إلخ، و ألفوا في حدثي احتلالها و تحريرها، و نظموا الشعر في شكل أراجيز و شرحوها مما ترك رصيدا محليا قيما، يعد مرجعا لورقتنا البحثية هذه ككتابات أحمد المقري التلمساني و حسن الوزان و التمكروتي و ابن رقية التلمساني، إلخ. حيث نريد أن نبحث فيها عن هوية هؤلاء المؤرخين و طبيعة علاقتهم بالمدن الساحلية التي كتبوا عنها، و دافع الكتابة عندهم و كيف وصفوها و ما الجوانب التي ركزوا عليها و كيفية تقييم المعلومات التي دونوها أو قيدوها.

الكلمات المفتاحية:

الجزائر؛ مدن ساحلية؛ مؤرخون؛ وصف؛ رحالة.

♦المؤلفة المرسلة

Abstract:

The strategic position of Algeria and its opening on the Mediterranean sea is one of the most important factors that influenced the history of the country and was one of the big deciding factors of its future and destiny. During the ottoman existence in Algeria -1519 to 1830-, the Algerian coastal cities were at the heart of the historical events that occurred in the region such as the Andalusian migration and the clash of civilizations between the Ottoman empire and the occidental alliance under the leadership of Spain and the Portugal. That has urged the local historians to consider the Algerian cities as metropolitan cities and military defense lines and so they documented and reported the historical attempts to the conquest of the region and its consequent liberation. The chroniclers and traveling scholars wrote work poems also referred to as rajaz poems, which have been commented, leaving a valuable literary and historical heritage, as the works of Ahmad al-Maqarrî al-Tilimsânî, Hasan al-Wazzân, Al-Tamagrûtî, etc. We attempt in the current study to analyze those works and discover the identity of the chroniclers and travelers in question. We also aim to answer the following questions: What was the relationship between those authors and the cities they dealt with in their works? The reasons that drove them to write about them? How they described them? The aspects they focused on? How we evaluate the informations they have provided?

Keywords:

Algeria; Coastal cities; Chroniclers; Description; Traveling scholars.

تمهيد:

عادة لا يكتفي المؤرخ بنظرة الآخر إلى تاريخه، بل لابد من التعبير عن نظرته لنفسه و تاريخه حتى تكتمل الصورة، و تقترب من الحقيقة و الموضوعية. في هذا الإطار كتبت المصادر المحلية الجزائرية خاصة و المغربية عن الكثير من القضايا و الأحداث، من عدة منطلقات، و ما سنتطرق إليه في ورقتنا البحثية هذه هو كتابتها عن الأحداث من منطلق المدينة أو الحاضرة.

و سنقتصر في هذه الدراسة الحديث عن المدن أو الحواضر الساحلية الجزائرية المطلة على البحر المتوسط في ضفته الغربية، علما أن أهم المدن التي لعبت دورا متميزا في العصر الحديث من الناحية السياسية و الإستراتيجية هي المدن الساحلية. لماذا؟

لأن أطماع الدول الصليبية نمت و توسعت بعد مؤتمر و اتفاقية توردي سياس 7 جوان 1494 بين إسبانيا و البرتغال بحيث تحتل اسبانيا ما هو شرق حجر بادس (جبل طارق)، بينما تحتل البرتغال ما هو غربه.

و يلاحظ أن القرنان السادس عشر و السابع عشر (16 و 17م) أقل تأليفا مقارنة بالقرنين الثامن عشر و التاسع عشر (18 و 19م)، حيث كانت مصادر الفترة الأخيرة أوفر، و ربما يرجع ذلك لاستقرار الحكم، و تحرير مدينة وهران و المرسى الكبير، التحرير الأول عام 1708م و الثاني عام 1792م[1].

فنحاول أن نقدم نماذج من هذه المصادر، و كيفية وصفها للمدن الساحلية الجزائرية و تحديد القضايا و الجوانب التي ركزت عليها في هذا الوصف و المسائل التي أهملتها أو غابت عنها.

تجدر الإشارة إلى أولى و أهم الدراسات التي وصفت سواحل البحر الأبيض المتوسط عامة، و سواحل المغرب الإسلامي خاصة هي دراسة البحار و الجغرافي العثماني بيري ريس[2] في "كتاب بحرية"، حيث وصف في القسم الثاني من كتابه و في حوالي ثمانية عشر صفحة (من ص 628 إلى ص 645) ميناء المرسى الكبير، و مدينة وهران، و قلعة مستغانم، و قلعة تنس، و بجاية و عنابة و غيرها[3].

---

[1] **شارف (رقية)** : *المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول 1118هـ/1708م و الثاني 1206هـ/1792م*، الجزائر، دار كوكب العلوم، 2021.

[2] هو أحمد بن الحاج محمد البحار العثماني، ولد حوالي 1465م في قاليبولي، و هو ابن أخت البحار العثماني الكبير كمال رايس، أصبح سنة 1547 أميرالا لأسطول حيث كان ينشط في البحر الأحمر و المحيط الهندي، و توفي سنة 1553م. أول ما ظهر "كتاب بحرية" كان سنة 1521م و الذي يعد من أهم المصنفات التي وصفت تقريبا كل سواحل المتوسط.

[3] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°15-16, 1973, Mélanges Le Tourneau, II, pp. 159-168.

الكثير من المدن و الحواضر و المناطق الساحلية التي كانت وجها لوجه مع أحداث البحر المتوسط، و أخرى كانت قريبة منها، قريبة من الساحل كقواعد خلفية لها. الكثير منها ذكرتها المصادر المحلية، و لكن سنركز على تلك التي كانت مركز ثقل في سير الأحداث، أحداث الجزائر و تفاعلها مع الخارج، نذكر منها مدينة الجزائر، و البليدة، مليانة، تنس، شرشال، مازونة، مستغانم، وهران، المرسى الكبير، دلس، بجاية، جيجل، عنابة، إلخ.

1. مدينة الجزائر

أخذت مدينة الجزائر حصة الأسد في المصادر المحلية باعتبار أنها أصبحت عاصمة الدولة الجزائرية في العهد العثماني و من الذين وصفوها نذكر:

-حسن الوزان[4]:

الذي يعطينا أصل تسمية الجزائر و هي الجزر المجاورة لها: ميورقة و منورقة، و اليابسة و يتفق مع من وصفها قبله و بعده في الكثير من النقاط حيث ذكر تحصيناتها الدفاعية: "نحو أربعة ألاف كانون (يقصد عائلة) و متانة أسوارها و روعتها، و هي مبنية بالحجر الضخم، و دورها الجميلة، و كثرة فنادقها، و حماماتها، و جامعها الممتاز على شاطئ البحر و ضواحيها الكثيرة البساتين و الثمار و المياه العذبة و سهولها الجميلة و يذكر منها بالتحديد سهل متيجة[5].

---

[4] حسن الوزان: رحالة أندلسي (1488-1537م) ولد بغرناطة و هاجر صغيرا مع أسرته إلى فاس. بعد أداء فريضة الحج ذهب للقاء السلطان العثماني سليم الأول بصفته سفيرا لديه من قبل ملك فاس محمد الوطاسي (البرتغالي)، غير أن السلطان سليم كان قد خرج في حركته العسكرية الكبرى للإستيلاء على بلاد الشام، فلحقه أو لحق به الوزان هناك، و حضر معه المعارك العنيفة، و التي انتهت في شهر أفريل 1517 بالقضاء على المماليك في مصر. مكث بضعة أشهر إلى أن خرج السلطان من الإسكندرية. دوّن الوزان كل ما عايشه و شاهده من أحداث في كتابه المشهور "وصف إفريقيا". مزيدا عن هذه الشخصية أنظر **سعيدوني (ناصر الدين)**: *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين*، الطبعة1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص ص 290-298.

[5] **الوزان (حسن بن محمد)**: *وصف إفريقيا*، ترجمة حجي و محمد الأخضر، ج2، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 37.

تحدث عن تشييد صخر البنيون من طرف الاسبان سنة 1510 حيث كانت تخرج القذائف الإسبانية نحو اليابس أي نحو المدينة[6]، كما ذكر أن معظم المراكب التي كانت تمتلكها الجزائر في هذه الفترة كانت تصنع بدار الصناعة البحرية. ما عدا الغنائم البحرية من السفن، الخشب، كمادة أولية كانت تجلب من غابات بجاية و ينقل إلى مدينة الجزائر عن طريق البحر، و قد لعبت بجاية هذا الدور خاصة بعدما أصبح خشب منطقة شرشال غير كافي. كما يجلب الحديد الذي يستعمل في مرافق السفن من المناطق القريبة من بجاية و ما يؤكد ذلك مراسلة من يحي آغا العرب الموجود بمدينة القل إلى حسين باشا[7].

-التمكروتي (ت 1595م) :

سنة 1584 خشي السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي أن يشن أتراك الجزائر غارة على بلاده، فقرر إرسال بعثة إلى القسطنطينية، ثم سفارة أخرى سنة 1589 عن طريق التمكروتي، فسجل السفير المغربي لدى اسطنبول انطباعاته، و أدق التفاصيل و الملاحظات في كتابه المشهور "االنفحة المسكية في السفارة التركية" و مما سجله عبر مدينة الجزائر أثناء عودته من إسطنبول: "هي أنها أفضل من جميع إفريقيا، و أعمر و أكثر تجارا و فضلا و أنفذ أسواقا و أوجد سلعة و متاعا، لذلك لقبت باسطنبول الصغرى"[8]. كما تحدث عن رواج الكتب بها خاصة كتب الأندلس و هي في شتى العلوم، و استحسن العلم فيها، و وصف الصراع المرير بينها و بين أعدائها في البحر مبرزا شجاعة و قوة رياسها[9]. دون أن يغفل وصف أضرحة علمائها: عبد الرحمان الثعالبي (ت1469) و أحمد بن عبد الله الجزائري (ت1469) و سيدي بنور.

---

[6] **الوزان (حسن بن محمد)** : نفس المصدر السابق، ص 38.

[7] المكتبة الوطنية الجزائرية، قسم المخطوطات، مجموعة 3190، رقم 144.

[8] **التمكروتي (علي بن محمد)** : *النفحة المسكية في السفارة التركية*، تقديم و تحقيق عبد اللطيف الشادلي، الرباط، الطبعة الملكية، 2002، ص 129.

[9] **التمكروتي (علي بن محمد)** : نفس المصدر السابق، ص 130.

-أحمد المقّري التلمساني (ت1041هـ/1632م) :

صاحب نفح الطيب[10]، الكتاب الموسوعي الذي هو ملحمة شاهدة على الصراع بين العالم الإسلامي ممثلا بالدولة العثمانية و الغرب المسيحي الصليبي -على حد تعبير المصادر- ممثلا في إسبانيا و البرتغال.

زار أحمد المقّري مدينة الجزائر بتاريخ 25 ذي الحجة1027هـ/13ديسمبر 1618 و هو في رحلته من المغرب إلى المشرق حيث قال:

خرجنا من المولى إلى رأس تافورة***فصارت به تلك المعاهد معمورة[11].

و ذكر من التقى بهم فيها من أعيانها مثل مفتي الحنفية محمود بن حسين بن فرمان الشهير، و من شعرائها مثل الأديب الشاعر ابن رأس العين و هو من شعراء الجزائر في العهد العثماني كان حيا سنة 1058هـ/1648م و الذي وصف الجو العلمي في مدينة الجزائر قائلا:

و ما أحد إلاّ اعترته مسرة و كانت***قلوب القوم بالجمع مسرورة

و جالسنا فيه أناس أفاضل فقلت***مآثرهم بين الأكابر مشهورة[12]

كما ذكر العلماء الذين تراسل معهم على مستوى الجزائر كسعيد قدورة و على مستوى المغربي مثل المؤرخ المغربي عبد العزيز الفشتالي، و بالتالي نقل لنا المقّري ذلك التفاعل الثقافي بين علماء الجزائر و علماء المغرب و مدى وعيهم بالصراع مع الضفة المقابلة، "العدوة الأندلسية" كما يسمونها.

-الحلفاوي (القرن 18م) :

عاصر الحلفاوي أهم أحداث الجزائر خلال القرن الثامن عشر كفتح وهران الأول 1708هـ، حيث كتب في هذه المناسبة أرجوزته المشهورة[13]، التي شرحها العالم

---

[10] **المقّري (أحمد)** : *نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب*، تحقيق إحسان عباس،ط1، 8 ج، الجزائر، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، 2008.

[11] **المقّري (أحمد)** : *رحلة المقري إلى المغرب و المشرق*، تحقيق محمد بن معمر، الجزائر، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، 1425هـ/2004م، ص 72.

[12] **المقّري (أحمد)** : نفس المصدر، ص ص 194، 196.

[13] الخزانة الملكية، الرباط، عبد الرحمان الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط رقم 14028، نسخة فاس.

المغربي عبد الرحمان الجامعي خلال التقائه بالحلفاوي في مدينة الجزائر، كما كتب عن استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية سنة 1711م لما رفض الداي علي باشا شاوش (1710-1718) مبعوث الباب العالي إبراهيم باشا إلى الجزائر، بل و نجح في كسب لقب الباشا الشرفي من الباب العالي.

-إبن المفتي (القرن 18م) :

رصد لنا ابن المفتي خلال القرن الثامن عشر في تقاييده التي تغطي الفترة (1515-1753) كل ما تعلق بالحياة السياسية و الثقافية لمدينة الجزائر، حيث جعل من مدينة الجزائر محورا أساسيا للأحداث فذكر البشوات، 45 باشا، و العلماء و المفتين منهم المالكية و الأحناف، و ثورات الجند، كما لم يفته وصف المدينة حيث ذكر من مواقعها الدفاعية رأس تافورة، الحراش، أسواق مدينة الجزائر، و مساجدها و أضرحتها، و القصور و الدور، حيث يعطينا هذا التقييد إنطباعا عن مدينة الجزائر على أنها كانت تؤثر و تتأثر بأحداث البحر المتوسط.

-إبن رقية التلمساني (ت بعد 1194هـ/1780م) :

سجل ابن رقية التلمساني في كتابه أغلب الإعتداءات الخارجية على مدينة الجزائر من سنة 982هـ/1516م إلى سنة 1189هـ/1775م[14]، أي منذ قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر و محاولاتهم التحريرية إلى غاية الحملة التي عاصرها المؤلف و هي حملة أوريلي. و مما ذكره و وصفه هو فتح خير الدين للحصنان اللذان كانا مكان برج الفنار و الذي هدم خير الدين أحدهما. في حين أن مصادر القرن السادس عشر ذكرت وجود حصن واحد و هو حصن البنيون.

-عبد الرزاق بن حمادوش (ت حوالي 1200هـ/1785م) :

تعتبر "رحلة" إبن حمادوش المعنونة بـ"لسان المقال" مرجعا أساسيا لمدينة الجزائر في عدة مواضيع سجلها صاحبها معبرا عن تفاعله مع الأحداث، و راصدا لأهم قضايا عصره، منها العلاقات بين الجزائر و المغرب الأقصى خاصة ما تعلق منها بالتجارة و الديوانة.

[14] المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، قسم المخطوطات، مخطوط رقم 1626، إبن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر، حين أغارت عليها جنود الكفرة، ص 04.

-حمدان بن عثمان خوجة (ت حوالي1261ه/1845م) :

هو الآخر سجل لنا أحداث و تاريخ مدينته، مدينة الجزائر، بمناسبة الإحتلال الفرنسي لها سنة 1830، فجاء كتاب "المرآة" على شكل تقرير عن مختلف مجالات الدولة الجزائرية، و مما سجله تحصيناتها الدفاعية و وصفه للثكنات حيث قال: "كل ثكنة تتكون من طابقين، و حجراتها تطل على مساحات واسعة و بعض هذه الحجرات غنية بالزخارف التي غالبا ما تكون موضوعة من طرف الضابط بعد أن يصل إلى مرتبة عالية في الدولة، و هذا العمل يكون تخليدا للأعمال و الذكريات التي سجلوها عندما كانوا مجرد جنود يولداش"[15].

كما وصف أخلاق الجنود على أنه من النادر أن يجد المرء سارقا من بينهم، و قد كانوا شديدي الحرص على احترام عادات البلاد ليحببوا أنفسهم إلى السكان.

و من خلال الدفتر التجاري[16] لحمدان خوجة نكتشف معطيات مهمة و أساسية عن المعاملات التجارية في مدينة الجزائر و التي كان يقوم بها أثناء أسفار و رحلاته بين الجزائر و جبل طارق، و الجزائر و إنجلترا (جمادى الثانية 1230ه/1814م)، ذكر طريق التجارة و الفئات التي تعامل معها داخل الجزائر و خارجها. بالنسبة للفئة داخل الجزائر نلاحظ أنها فئة ميسورة الحال، بالإضافة إلى فئة النساء منهم زوجته التي يذكرها باسم "عيالي" و "العمية بنت الخزناجي"، يقصد خداوج العمياء، كما زودنا بمعلومات عن نوع السلع و المقاييس و المكاييل.

-أحمد الشريف الزهار (ت1289ه/1872م) :

كان نقيب أشراف مدينة الجزائر، ترك لنا "مذكرات" مهمة، تحدث فيها عن عدة قضايا، منها تأسيس مدينة الجزائر الذي كان بتكليف من زيري بن مناد، ثم أعاد بلكين بناء المدينة. يعد من أهم المصادر المحلية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث ربط أحداث المدينة الداخلية بما كان يحدث في البحر المتوسط. قيد كل مستجدات المدينة: الوضع الصحي، الدايات و حكمهم، المؤسسة العسكرية، الإدارة،

---

[15] **بن عثمان خوجة (حمدان)** : *المرآة*، تقديم و تعليق و تحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 2005، ص 119.

[16] Hamdan Bin Uthmân Khûja, Livre de compte, Bobine 15MI, 381, 55 feuillets, Archives nationales d'Outre-mer, Aix-en-Provence, France.

الوضع الإقتصادي. ذكر مساجد المدينة، مثل المسجد الحنفي، مسجد القائد صفر الواقع بأعالي القصبة[17].

و لم يغفل الزهار الحديث عن تحصينات مدينة الجزائر و مما تحدث عنه برج وادي خنيس (وادي كنيس) حيث ذكر أنه بعد حملة شارلكان على مدينة الجزائر سنة 1541، شيد الجزائريون برجا يحمي مدخل المدينة و هو برج وادي خنيس، و الذي كان بمثابة حجر عثرة أمام الجيوش التي قامت بحملات لاحقة ضد المدينة، خاصة الحملة الإسبانية التي و قعت سنة 1775[18].

و كذلك برج تافورة و الذي يسمى أيضا ببرج باب عزون[19]، و هو من البروج البرانية الشرقية به 93 فتحة أي فتحات للرمي، و قد سمي ببرج باب عزون لأنه قريب من شارع باب عزون إذ شيد على أنقاض مقبرة، و قد قام بتوسيعه مصطفى باشا قبل اغتياله سنة 1805م.

2. غرب مدينة الجزائر

من المدن الساحلية أو القريبة من الساحل و التي ذكرتها المصادر المحلية على أساس دورها في الأحداث نذكر:

-برشك:

تعد اليوم مجهولة لا يوجد لها أثار واضحة، يفترض أنها مدينة مطمورة

---

[17] مسجد القائد صفر، نسبة لمملوك خير الدين بربروس، و الذي أعتقه و اهتدى إلى الإسلام فأصبح يسمى بالقائد صفر بن عبد الله ؛ درس اللغة العربية، و القرآن الكريم، فعمل كحزاب، و بنى هذا المسجد بأمواله في مدة ثمانية أشهر من رجب 940هـ/جانفي 1534م إلى 02 ربيع الأول 941هـ/11 سبتمبر 1534م و عد من أولى المساجد الحنفية التي بنيت في العهد العثماني في مدينة الجزائر و هو أيضا من الأوقاف التي سيرها الأئمة و الوكلاء، و حسب أحمد الشريف الزهار أن مسجد صفر هدمه الداي حسين و أعاد بنائه في نفس السنة 1241هـ/1825م. أنظر **الشريف الزهار (أحمد)**: *مذكرات نقيب الأشراف*، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة 02، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980، ص 166.

[18] **الشريف الزهار (أحمد)**: نفس المصدر، ص 26.

[19] أحد أبواب مدينة الجزائر التي ذكرتها معظم المصادر المحلية و غير المحلية، كانت بها زاوية القاضي.

تحت الأرض و هي قريبة من مدينة قوراية، و مدينة شرشال، معروفة بمينائها، ذكرها إبن خلدون و ذكر مينائها باسم بَرِيشْك. و حسب حسن الوزان هي تقع بين شرشال و تنس، و وصفها بدقة البحارة العثماني بيري ريس في "كتاب بحرية" حيث حدد موقعها الجغرافي بشرق قلعة تنس و هي مدينة و ميناء و قلعة قائمة بذاتها و محاطة بأسوار و آهلة بالسكان، و هذا بعدما زارها و عاينها في القرن السادس عشر.

-البليدة و مليانة :

مما ذكرته المصادر حول المدينتين هو تحالف خير الدين بربروس مع العالم الصوفي سيدي أحمد الكبير الأندلسي، دفين البليدة سنة 1540، و تحالف الأتراك أيضا مع العالم أحمد بن يوسف المليانى و الذي عاصر سقوط الأندلس، و احتلال مدينة وهران، و توفي بمليانة في سنة 931هـ/1524م أي قبل سقوط الدولة الزيانية. و قد وجد عروج في الصراع المليانى-الزياني فرصة لكسب حليف، و كان أول إتصال بين عروج و أحمد المليانى سنة 1517 في مدينة الجزائر.

3. باقي مدن سواحل الجزائر الغربية

-شرشال :

ذكر حسن الوزان أن الرومان هم من شيد شرشال، و هي مدينة كبيرة جدا و أزلية، وصف مسجدها، و أراضيها الفلاحية الجميلة التي تحيط بها، كما ذكر هجرة الغرناطيون إليها و إعادة بنائهم لدورها و تجديدهم لقلعتها و توزيعهم للأراضي و صناعتهم لكثير من السفن للملاحة و تطرق إلى صناعة الغرناطيون و إشتغالهم بصناعة الحرير و علاقتهم الطيبة ببربروس، حيث لم يخضعوا إلا له و لم يثقل كاهلهم بالضرائب و لم يؤدوا له مع ذلك خراجا سنويا أكثر من ثلاثمائة مثقال[20]، على حد تعبيره.

-تنس:

وصفها حسن الوزان على أنها مدينة قريبة جدا من البحر و يحيط بها السور. كما اهتم بصراع الإخوة على الحكم فيها مما سهل على خير الدين السيطرة

[20] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 34.

عليها[21]، و ذكر أبو راس الناصري (ت1238هـ/1823م) أنها بنيت من طرف الأندلسيين، و هي على مسافة ميلين من البحر و كان طلبتها يدرسون في مدرسة مازورنة[22].

-مازونة :

زارها رحالة مغاربة مثل العبدري و حسن الوزان و المجاجي و الشيخ السنوسي. كانت القاعدة الخلفية للسواحل الجزائرية الغربية في الفترة العثمانية. هي مركز سلطة قبيلة مغراوة في العصر الوسيط، كتب عنها المؤرخ الإسباني مارمول كربخال في القرن السادس عشر ميلادي.

كانت عاصمة بايلك الغرب إلى أن تولى مصطفى بوشلاغم عليه في الفترة 1686-1733 فوحد بين مازونة و تلمسان لأول مرة[23]، و نقل عاصمة البايلك من مازونة إلى قلعة بني راشد ثم إلى معسكر التي تقع في مركز وسط بين تلمسان و مازونة، القريبة كثيرا من وهران. سكنتها العناصر الأندلسية مما زاد في بروزها كحاضرة علمية[24] حيث اشتهرت فيها في القرن السابع عشر ميلادي عائلة آل سيدي علي الكتروسي الشريف الحسني، و توافد عليها في القرن الثامن عشر ميلادي بفضل مدرستها المشهورة، مدرسة مازونة[25]، جموع المتعلمين، كأبي راس الناصري.

-مستغانم/مزغران:

لا يمكن الفصل بين المدينتين أثناء وصفهما. حدد حسن الوزان البعد

---

[21] نفس المصدر، ص ص 35، 36.

[22] المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط 3182، محمد أبو الراس الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية، ص 100.

[23] **جنان (الطاهر)** : *مازونة عاصمة الظهرة تغر حربي، و مركز إشعاع حضاري*، الطبعة01، الجزائر، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، 1426هـ/2005، ص 20.

[24] **بلغيث (محمد الأمين)** : *دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي*، دار التنوير،1426هـ/2006، ص 23.

[25] تأسست مدرسة مازونة من طرف دفينها محمد الشريف بن أحمد في غرة القرن الحادي عشر الهجري/17م. أنظر **بن أبي شنب (سعد الدين)** : "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، *مجلة كلية الآداب*، العدد 01، السنة 01، جامعة الجزائر، 1964،ص 38.

بينهما بثلاثة أميال، أي تقع مدينة مستغانم شرق مزغران بذلك البعد[26]، و هي مدينة محصنة بها 1500 كانون (عائلة) و فيها مسجد في غاية الحسن و الجمال، و الكثير من الدور و البساتين، التي يقول عنها أنها كانت مهجورة، و هذا ما يدل على اضطراب الأوضاع و عن احتراف سكانها لصناعة النسيج، و نفس المعلومات تقريبا، ذكرها الزياني في "دليل الحيران"[27]حيث تحدث عن برج الترك و ما يحمله من مدافع و عن احتلال الإسبان لها سنة 1511 و إسترجاعها من طرف عروج سنة 1517، و بعد مقتل عروج إستردها الحاكم الزياني، و في عهد حسن باشا بن خير الدين عرفت إستقرارا نتيجة تبعيتها للحكم المركزي.

لكن أطماع إسبانيا أبقتها متربصة بالمدينة إلى أن جهز لها الكونت الإسباني ألكوديت (Conde de Alcaudete) حاكم وهران حملة كبيرة بقيادته، فوقعت المعركة التاريخية بين الطرفين، الإسباني و الجزائري، هذا الأخير الذي التحمت فيه جهود كل من حسن بن خير الدين و رجل الدين الصوفي لخضر (لكحل) بن خلوف فكانت المواجهة في مدينة مزغران[28]، بتاريخ 12 ذي القعدة 965هـ/26 أوت 1558، و قد شبه لخضر بن خلوف هذه المعركة بمعركة بدر الكبرى، حيث انهزم فيها الإسبان شر هزيمة و حال ذلك دون احتلال المدينة، و تفاصيل المعركة مدونة في قصيدة تاريخية من الشعر الملحون للرجل الصوفي لخضر بن خلوف، نقرأ من خلالها ذلك التحالف الكبير الذي كان بينه ممثلا لأهل المنطقة و بين القوات العثمانية ممثلة في شخص حسن بن خير الدين و مما جاء في القصيدة نذكر[29]:

يا فارس من جيت اليوم****عيد اخبار الصح معلومة

يا عجلان ريض الملجوم****رايت اجنود الشوم ملمومة

---

[26] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 32.

[27] **إبن يوسف الزياني (محمد)** : *دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1979، ص 196.

[28] هي مدينة صغيرة بناها الأفارقة على شاطئ البحر المتوسط قريبة من مصب نهر الشلف في البحر. أنظر **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 32.

[29] للإطلاع على القصيدة كاملة، أنظر *جمعية ترقية المبادلات الثقافية و السياحية مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف حياته و قصائده*، ج1، وهران، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2006، ص ص 167-172.

يا سيلني عن طراد الروم****قصة مزغران معلومة

-مدينة هنين:

حسب وصف الوزان هي مدينة و ميناء صغير محروسين ببرجين، تحيط بالمدينة أسوار عالية و متينة، لا سيما من جهة البحر، إحتلها الإسبان كبقية السواحل الجزائرية، سنة 1531. يعمل أهل مدينة هنين منذ القديم في القطن، و الصناعة النسيجية، منازلهم في غاية الجمال و الزخرفة، لكل دار بئر من الماء العذب، و فناء مغروس بكرم، و يقدم وصفا دقيقا للمنازل و دوريها في إنتاج الفواكه. لكن يقول هاجر أهلها لما أحتلت وهران فأصبحت خاوية على عروشها[30].

-وهران و مرساها (المرسى الكبير):

لا نجد المصادر تحدثنا عن مدينة وهران دون الحديث عن المرسى الكبير و العكس صحيح، فحسب حسن الوزان أن الإسبان استولوا على المرسى الكبير[31] عنوة قبل سقوط وهران ببضعة أشهر. و لكن في الواقع نجد أن احتلال المرسى الكبير كان سنة 1505 بينما مدينة وهران احتلت 1509.حيث يصف حسن الوزان المرسى الكبير : "ما أظن أن في الدنيا أكبر منه (يقصد مرسى الكبير) يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب و السفن الحربية و في مأمن من إعصار أو عاصفة"[32].

و يصف الوزان مدينة وهران كونها مدينة كبيرة فيها ستة ألاف كانون (عائلة) و فيها كل ما يدل على المدينة المتحضرة: مدارس، مساجد، حمامات، فنادق.... جزءها في سهل و آخر في جبل شديد الإرتفاع، ذكر تجارة أهلها مع القطلونيين و الجنويين. لم يكن أولئك السكان يحبون الخضوع لملك تلمسان.

عرض لنا ابن مريم[33] الصراع العثماني-الإسباني على أنه صراع حضاري من خلال المصطلحات التي استعملها (ذل الكافر[34]، عز المسلم...إلخ). تطرق للمحاولات

---

[30] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 15.

[31] إحتلت إسبانيا المرسى الكبير في 13 سبتمبر 1505م من طرف دياقو فيرناندیز دي قرطبة.

[32] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 31.

[33] هو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، توفي سنة 1020ه/1611م، إشتهر بكتابه "البستان".

[34] **إبن مريم (أبو عبد الله محمد)** : *البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان*، طبعه و اعتنى بمراجعته محمد بن شنب، الجزائر، مطبعة الثعالبية، 1326ه/1908م، ص ص 266-267.

الأولى لتحرير مدينة وهران، و تهديم حسن باشا بن خير الدين للجزء الأعلى من حصن المرسى، و هروب الإسبان إلى الحصن الأسفل من وهران، و دخول المسلمين المدينة في 15 رمضان 1007هـ/السبت 28 مارس 1598م، و يؤرخ ابن مريم هذا الحدث بقصيدة الشاعر سيدي عبد الرحمان بن موسى (ت1602م) من 13 بيتا مما جاء فيها:

هنيئا لك باشا الجزائر و الغرب***بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب

ستفتح وهران و مرساها التي***أضرت بهذا الاقليم طرا بلا ريب[35]

كتب في فتح مدينة وهران الأول 1708 و الثاني 1792 عدة مؤلفين منهم إبن ميمون الذي قال في هذا الموضوع: "عندما فتح مصطفى بوشلاغم (باي الغرب) مدينة وهران سنة 1708 إتخذ القصبة مقرا للإدارة (أي لإدارة البايلك)، و أضاف عدة مرافق عمومية منها: حمامين، و مخازن، و ما يزال أثرهم إلى اليوم"[36].

كما ذكر إبن ميمون قصيدة شاعر مدينة الجزائر إبن عبد الله محمد الملقب بإبن أقوجيل (توفي قبل فتح وهران الأول 1078هـ/1668م) قصيدة حرض فيها و من خلالها الداي أبو العباس الحاج أحمد (1106-1109هـ/1695-1698م) خليفة الداي شعبان و حثه على تعبئة الجهود لتحرير وهران في قوله:

أضرم على الكفار حرب****تقلع و لا تمهلهم بفتور

و بقربنا وهران ضرس****سهل إقتلاع في إعتناء يسير[37]

و هكذا أرخ ابن ميمون لفتح وهران الأول، و أشاد به و ببطل هذا الفتح و هو بكداش داي الذي لقبه بالمجاهد، و المتصوف كما أطال في الحديث عن سيرته منذ وصوله الجزائر 1086هـ/1676م، و كيفية إرتقائه في المناصب السياسية و مصدر قوته من أقاربه كصهره أوزون حسن، و من العلماء و رجال الدين و المتصوفة الذين هنؤوه بهذا الفتح العظيم.

و وصف ابن سحنون الراشدي (ت بعد1211هـ/1796م) وهران المتحررة بالثغر الجماني[38] المبتسم، كما رصد الجو الديني الذي ميز دخول الباي محمد الكبير

---

[35] نفس المصدر السابق، ص 132.

[36] إبن ميمون، المصدر السابق، ص 30.

[37] نفس المصدر، المقامة 09، ص 207.

(1778-1798م) إلى مدينة وهران، التي وصف أبراجها حيث قال: "أعظم تلك الحصون البرج الأحمر (برج الأمحال) و هو شرقها مطل على البحر ممتد إلى قرب بابها (يقصد باب البحر)[39]."

و ركز عبد القادر المشرفي (توفي حوالي 1192هـ/1778م) في حديثه عن مدينة وهران على تحليل العلاقة بين القبائل و المحتل الإسباني، و ذكر أسباب احتلال المرسى الكبير و مدينة وهران 915هـ/19 ماي 1509م و اتهم بل و حكم على القبائل المتعاملة مع الإسبان بالكفر في قوله[40]:

فمن مبلغ عني بني عامر****لا سيما من قد ثوى تحت كافر[41]

و تخصص كل من إبن زرفة الدحاوي (توفي1215هـ/1800م) و أبو راس الناصري في فتح وهران الثاني 1792م، حيث ذكر إبن زرفة تفاصيل الفتح في الرحلة القمرية[42] و مراحله و ظروفه، و دور الطلبة و العلماء و رجال الدين في عملية الفتح و ذكر أهم رباطاته مثل رباط إيفري[43] و وصف أبو راس الناصري الإسبان في وهران عشية الفتح، و جراء الزلزال الذي وقع كالحية تحت الصخرة.

4. مدن سواحل الشرق الجزائري

-مدينة دلس:

من أقرب المدن الساحلية لمدينة الجزائر جهة الشرق، تتبعها في كل شيء

---

[38]**إبن سحنون الراشدي (أحمد)** : *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة، مكتبة البعث، 1973، ص ص 200، 201.

[39]**إبن سحنون الراشدي (أحمد)** : نفس المصدر، ص 201.

[40]**المشرفي (عبد القادر)** : *بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر*، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت، د. ت.

[41]**BODIN (Marcel)** : « L'agrément du lecteur, notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran par Si Abd el Kader El Mechrafi », *Revue Africaine*, 65, 1924, pp. 215-216.

[42]المكتبة الوطنية، الجزائر، مخطوط رقم 2597 ج1، مصطفى ابن زرفة الدحاوي، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية.

[43]إيفري هي قرية صغيرة تقع على الضفة اليسرى لوادي الرحى و الذي يعرف أيضا بوادي رأس العين.

حكمة و إمارة على حد قول حسن الوزان، و اسمها القديم تادلس، و يذكر حسن الوزان: "تحيط بها أسوار قديمة، متينة و جل سكانها صباغون لوجود عدد من العيون و الجداول بها، هم ذو بشاشة و مرح يحسنون تقريبا كلهم العزف على القيتار، و يملكون أراضي زراعية كثيرة و تعودوا على اصطياد السمك بالشباك و يهدونه[44]".

-مدينة بجاية :

يعطينا ابن مريم في "البستان" معلومات كثيرة عن بجاية، كالمواقع و الأماكن و من استوطنها، و هنا نذكر عائلة العلامة حسين الورتيلاني[45] الذي نسب إليها البجائي حيث ولد بني ورثيلان بمنطقة بجاية سنة 1125هـ/1713م، حيث يقول: "إنه نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي هكذا ثبت بخط جدي و هو ثقة[46]"، و بجاية عاصمة الحماديين و مركز إشعاع حضاري، حيث استقطبت العلماء و المفكرين.

و في عصر الموحدين و الزيانيين و الحفصيين فإن الكثير من الأحداث السياسية و العسكرية جعلت بجاية بين فكي رحى، لكن مع ذلك كانت تسلح العديد من السفن الحربية المختلفة و ترسلها للغزو في شواطئ الجمهوريات الإيطالية و إسبانيا[47].

كما أشار حسن الوزان إلى استقلال إقليم مدينة بجاية رغم كونه موضوع نزاع مستمر، يتبع تارة سلطة ملك تونس، و تارة أخرى سلطة ملك تلمسان إلى أن استولى على عاصمتها الكونت بيير نافارو باسم ملك إسبانيا فيرديناند فاستولى على قصبتها و نهبها سنة 1510م[48].

ذلك بعد وصفها بالمدينة المحصنة بقلاعها، و الجميلة بقصورها و بساتينها،

---

[44] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 42.

[45] **الورثيلاني (حسين)** : *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، الرحلة الورثيلانية*، تحقيق محمد بن شنب، الجزائر، مطبعة بير فونتانا الشرقية، 1326هـ/1908م، ص 603.

[46] **الورثيلاني (حسين)** : نفس المصدر، ص 603.

[47] **الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق،ج2، ص 50.

[48] **الوزان (حسن بن محمد)** : نفس المصدر، ص 51.

و كون مينائها[49] معبرا للهجرة الأندلسية منذ القرن الخامس عشر نحو الجبال المحصنة، و الصالحة للجهاد ضد العدو الإسباني، و المزدهرة بعلمائها الشرفاء و الصلحاء الذين نزحوا إلى المناطق الداخلية جراء الإحتلال؛ نزحوا إلى بلاد زواوة، حيث استشار محمد بن أحمد بن يوسف الكفيف أستاذه عبد الرحمان الثعالبي[50] في قضية نقل كتبه من بجاية إلى زواوة فوافقه على ذلك كما تشير إليه رسالة الثعالبي[51]. إذن إتفقت المصادر المحلية على وصف بجاية بالحاضرة العلمية و بالثغر الحربي.

و نجد الشيخ محمد التواتي الذي نبه في قصيدته أهل وهران إلى خطر الغزو الإسباني[52] يؤيد تحالفه مع القوات العثمانية، حيث بارك قدوم كل من بيري رايس و كمال رايس إلى بجاية لما نزلا بها سنة 901هـ/1495م و كانت زاويته ملجأ لهما، و لكل المجاهدين و بوفاة الشيخ سقطت بجاية في يد الإسبان[53].

كما تحالف أهل بجاية مع الإخوة بربروس حيث ذكر الوزان أن السلطان أبا عبد الله محمد عثمان أمر نائبه أحمد بن القاضي المقيم بعنابة بالإلتحاق بعروج و إعانته بكل ما يستطيع لطرد الإسبان من بجاية و الجنويين من جيجل، فوصف حصار بربروس لبجاية و انسحابه إلى جيجل و ذكر خبر مقتله في تلمسان[54].

-مدينة جيجل :

تعد جيجل من أهم المدن الجهادية في الساحل الشرقي للجزائر. أشاد حسن الوزان بدور بربروس و رجاله في جيجل حيث مكث في قصرها الواقع على بعد ستين

---

[49] نفس الدور لعبه ميناء أزفون في استقبال أهل الأندلس الفارين من البطش الإسباني.

[50] عاش عبد الرحمان الثعالبي مآسي نهاية القرن الخامس عشر بالنسبة للمسلمين، و استشرف بالإحتلال الإسباني للجزائر و نبه إليه بإعداد العدة و الإستعداد للجهاد أو الإنعزال و التصوف؛ كان لا يخاطب السلطة بل خاطب العلماء و حثهم على الجهاد.

[51] **قسوم (عبد الرزاق)**: "عبد الرحمان الثعالبي و التصوف"، *مجلة الثقافة*،العدد 08 و 09، ماي-جويلية 1972، ص 155.

[52] **إبن سحنون الراشدي (أحمد)** : المصدر السابق، ص 15.

[53] -**سعد الله (أبو القاسم)** : *تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)* ج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981، ص 466.

[54] -**الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص ص 21، 39.

ميلا من بجاية المدينة، لفترة من الزمن و هلك خلالها الملك الكاثوليكي فارناند الخامس في 23 يناير 1516[55]، مما أدى إلى انتقال عروج من جيجل إلى الجزائر، على رأس قوة مسلحة مؤلفة جزئيا من عساكر جيجل، لمساعدة سكان مدينة الجزائر على التخلص من نير إسبانيا.

خاتمة

نخلص في دراستنا هذه إلى مجموعة من الإستنتاجات نحصرها فيما يلي:

-المدن الجزائرية في الفترة الحديثة هي نتاج العصر القديم و الوسيط.

-سقوط المدن الأندلسية و تبدل أحوال حواضر المغرب الإسلامي، و تعرضها للإحتلال كان مناسبة أليمة و دافعا قويا على الكتابة التاريخية.

-كانت المدن الساحلية الجزائرية في العهد العثماني ثغور حربية جهادية، بها الأضرحة، و مقر الأولياء الصالحين على حد تعبير المصادر المحلية، الذين كانوا يحثون على الجهاد ضد المحتل الإسباني و وصفوه بالكافر و العدو، إلخ.

-المصادر المحلية لم تصف المدن الساحلية فقط بل و مدن داخلية أخرى كتلمسان و بني يزقن و بسكرة، و إقليم توات، إلخ و هي الأخرى كانت متفاعلة مع أحداث القرن السادس عشر و هذا يمكن أن يكون موضوعا آخر للبحث فيه.

-الحواضر الساحلية كانت حاضرة بقوة في المصادر المحلية، ينسب إليها الكاتب و الشاعر و رجال الدين و الصلحاء.

-أعطيت الأولوية في الوصف للتحصينات و الدفاعات أي عنصر الأمن كان حاضرا بقوة، مما يدل على افتقاده ، كما سجل خراب بعض المدن و هجرة أهلها لانعدام الأمن، فالأمن كان من أولويات هذه الفترة.

-نسجل ظاهرة إنتقال التصوف من المدن إلى الأرياف ربما يعود ذلك إلى كون الريف كان بعيدا عن ضغوطات السلطة.

-سجلت الكتابات المحلية لقاء علماء المغارب حيث نلاحظ أن الحواجز الثقافية لم يكن لها وجود و هذا ما يدل على الشعور بوحدة الظرفية التاريخية و التفاعل الثقافي.

---

[55]-**الوزان (حسن بن محمد)** : المصدر السابق، ص 39.

-كتبت المصادر المحلية بأسلوب ديني، و وظفت الشعر، و النثر و استعملت المحسنات البديعية و البيانية لإبراز العاطفة و التي كانت في أغلبها التأسي و الحسرة ماعدا في فتح وهران.

-أغفلت المصادر المحلية الحديث عن الأحداث السياسية الكبرى مثل كيفية تطور النظام السياسي و طبيعته في الجزائر، و العلاقة بين الجزائر و اسطنبول و المؤسسة العسكرية وما يحدث في العالم من نهضة و تحولات فكرية و إن أشارت إلى بعض هذه القضايا أحيانا إلا أن ذلك كان بطريقة عفوية و محتشمة.

لا نعتقد أن مرجع هذا الإغفال يعود إلى عدم الدراية بقضايا العصر بقدر ما نعتقد أن ذلك يعود إلى كونها مصادر مشدودة إلى الواقع الداخلي و كونها كتابات محلية و ظرفية.

المصادر و المراجع باللغة العربية

المخطوطات:

-**التلمساني (بن رقية)**: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط رقم 1626، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

-**الجامعي (عبد الرحمان)**: شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط رقم 14028، نسخة فاس، الخزانة الملكية، الرباط، المغرب الأقصى.

-**الدحاوي (مصطفى بن زرفة)**: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط رقم 2527، ج01، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

-مجموعة3190، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 144.

-**الناصري (أبوراس)**، الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية، مخطوط 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر.

المنشورات:

-**إبن أبي شنب (سعد الدين)** : ""النهضة العربية "بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، *مجلة كلية الأداب*، العدد 01، السنة 01، جامعة الجزائر، 1964، ص ص 45-60.

-**إبن مريم (أبو عبد الله)** : *البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان*، طبعه و اعتنى بمراجعته محمد بن شنب، الجزائر، مطبعة الثعالبية، 1326ه/1908م.
-**التمقروتي (علي بن محمد)** : *النفحة المسكية في السفارة التركية*، تقديم و تحقيق عبد اللطيف الشادلي، الرباط، الطبعة الملكية، 2002.
-**الجزائري (بن ميمون)** : *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية*، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة 01، الجزائر، 1972.
-**الراشدي (بن سحنون)** : *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة، مكتبة البعث ، 1973.
-**الزبيري (محمد العربي)** : *مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة و بوضربة*، الطبعة 02، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.
-**الزهار (أحمد الشريف)** : *مذكرات نقيب الأشراف*، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة 02، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980.
-**الزياني (محمد بن يوسف)** : *دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، تقديم و تعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979.
-**المشرفي (عبد القادر)** : *بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر*، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، بيروت، د. ت.
-**المقّري (أحمد)** : *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تحقيق إحسان عباس، الطبعة 01، الجزائر، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، 2008.
-**الورثيلاني (حسين)** : *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، الرحلة الورثيلانية*، تحقيق محمد بن شنب، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا، 1326ه/1908م.
-**الوزان (حسن بن محمد)** : *وصف إفريقيا*، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ج 02، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1983.
-**بلغيث (محمد الأمين)** : *دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي*، دار التنوير، 1426ه/2006م.
-**جمعية ترقية المبادلات الثقافية و السياحية مستغانم** : *سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده*، ج 01، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2006.

-**جنان (الطاهر)** : *مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري*، الطبعة 01، الجزائر، مطبعة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، 1426هـ/2005م.

-**خوجة (حمدان بن عثمان)** : *المرآة*، تقديم و تعليق و تحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر، ش. و. ن. ت.، 2005.

-**سعد الله (أبو القاسم)** : *تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16-20م)*، ج01، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.

-**سعيدوني (ناصر الدين)** : *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي*، تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين، الطبعة 01، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.

-**شارف (رقية)** : *المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول*، 1118هـ/1708م و الثاني 1206هـ/1792م ، الجزائر، دار كوكب العلوم، 2021.

-**قسوم (عبد الرزاق)** : "عبد الرحمان الثعالبي و التصوف"، *مجلة الثقافة*، العدد 08 و 09، ماي-جويلية 1972، ص ص 152-159.

المصادر و المراجع باللغة الأجنبية

-**BODIN (Marcel)** : "L'agrément du lecteur, notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran" par Si Abd el Kader El Mechrafi, *Revue Africaine*, vol 65, 2éme trimestre, Alger, 1924, 193-221.

-**KHÛJA (Hamdân Bin Uthmân)** : Livre de compte, Bobine 15 MI, 381, 55 feuillets, Archives d'Outre-mer, Aix-en Provence, France.

-**MANTRAN (Robert)** : "La description des côtes de l'Algérie dans le kitab-i bahriya de Piri Reis", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 15-16, 2éme semestre, Aix en Provence, 1973, 159-168.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 2 Issue 2 pp. 96-114
Issn: 2800-1184
Received: 10/12/2022 Accepted: 25/12/2022 Published: 29/12/2022

From the Adriatic to the Western Mediterranean: Albanians and Dalmatians in Algiers during the 16th Century

Muhaj Ardian♦
Institute of History, Tirana
e mail: ardian300@yahoo.com

ملخص:

من البحر الأدرياتيكي إلى غرب البحر الأبيض المتوسط: الألبان و الدلماسيون في مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر

يعتبر القرن السادس عشر العصر الذهبي الأخير للبحر الأبيض المتوسط. و قد تقاسم الناس الذين يسكنون هذا "البحر العظيم" روعته. في هذا القرن، يُنظر إلى البحر الأبيض المتوسط على أنه فضاء بحري متنازع عليه بين قوتين متنافستين: إمبراطورية هابسبورغ والإمبراطورية العثمانية. تطور التنافس بين الهابسبورغ و العثمانيين في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، في حين ظل الجزء الشرقي و الأوسط من البحر العظيم تحت سيطرة الدولة العثمانية دون منازع. في خضم هاته الروعة و التنافس المتوسطي، لا ينبغي التقليل من أهمية و دور نشاط العديد من الناس و المجتمعات المحلية.

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على وجود البحارة و الجنود و التجار الألبان و الدلماسيين في مدينة الجزائر، و التي كانت بلا شك واحدة من أهم مراكز البحر الأبيض المتوسط، مع تجارة نابضة بالحياة و مكان سياسي و ثقافي و تجاري مهم للروابط و التأثير. كان الناس من الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي، و خاصة الألبان و الدلماسيون (أي الكروات و البوسنيون، إلخ) حاضرين بشكل متزايد في مدينة الجزائر و كذلك في شمال إفريقيا البحر الأبيض المتوسط بمقياس لم يسبق توثيقه من قبل. بصرف النظر عن الزيادة في الأعداد، في القرن السادس عشر، تغير أيضًا جودة وجودهم في غرب البحر الأبيض المتوسط.

♦ **Corresponding Author**

الكلمات المفتاحية:
الألبان و الدلماسيون ؛ مدينة الجزائر ؛ غرب البحر الأبيض المتوسط ؛ القرن السادس عشر.

Abstract:

The sixteenth century is considered as the last golden age of the Mediterranean. This splendor of the Mediterranean was shared by the people inhabiting this "Great Sea". In this century the Mediterranean is seen as a maritime space contested between two rival powers: the Habsburg Empire and the Ottoman Empire. The rivalry between the Habsburgs and the Ottomans developed in the Western fringe of the Mediterranean, while the eastern and central part of the Great Sea remained uncontested dominions of the Ottoman state. In this Mediterranean splendor and rivalry, the role and agency of many people and local communities should not be undervalued. The aim of this paper is to highlight the presence of the Albanian and Dalmatian sailors, soldiers, and traders in Algiers, which was undoubtedly one of the most important centers of the Mediterranean, with a vibrant trade and an important place of political, cultural, and commercial links and impact. People from the Eastern Adriatic shore, especially Albanians and Dalmatians (i.e., Croats, Bosnians, etc.) were increasingly present in Algiers as well as in North African Mediterranean in a scale never documented before. Apart from the increase in numbers, in the 16th century also changes the quality of their presence in the Western Mediterranean.

Keywords:
Albanian and Dalmatians; Algiers; Western Mediterranean; 16th century.

Introduction

In the Middle Ages, Albanians, as well as Dalmatians, Bosnians and Greeks, generally were employed as rowers or as sailors, not as merchants in the maritime fleet of Venice[1]. This was

[1]On the rise of other Adriatic cities that challenged the Venetian supremacy in the Adriatic in the 16th century such as Ancona, Dubrovnik and Trieste see: **BRAUNSTEIN (Philippe)**: « À propos de l'Adriatique, entre le XVIe et le

because before the 16th century Albanians and Dalmatians were driving force employed in the Venetian galleys in the Mediterranean and even in the Venetian galleys of the Flanders route[2].

The sixteenth century is generally considered as the "golden age" of the Ottoman state and more specifically the period of Suleyman the Magnificent[3]. It was also the last golden age of the Mediterranean -which does not mean that the Mediterranean lost all importance after the 16th century-. At that time, the rivalry between the Habsburgs and the Ottomans developed in the Western fringe of the Mediterranean, while the eastern and central part of the Great Sea remained uncontested dominions of the Ottoman state. In this transformation process the role and presence of the Albanians and Dalmatians that in demographic terms shared the eastern shore of the Adriatic Sea increased benefiting from this new 16th century Mediterranean context.

1. The Adriatic in the Ottoman "mare nostrum"

The Ottoman "mare nostrum" or the Ottoman hegemony in the sixteenth century Mediterranean was built in less a century and bloc after bloc. In this maritime expansion, the key moments were the conquest of Vlore in the Adriatic (1417), of Thessalonica in the Aegean Sea (1431), the conquest of Constantinople in the Marmara Sea and in the contact point between the Black Sea and the Mediterranean Seas (1451), the conquest of the Trabzon Byzantine state (1461), the incorporation of the Crimea as an Ottoman protectorate (1475)[4], the conquest of the Peloponnese (1479), of

---

XVIIIe siècle », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*, 26e année, N. 6, 1971, pp. 1270-1278, where he states: « …le conflit se situe sur le terrain plus modeste d'une rivalité entre des partenaires qui s'affrontent de longue date; Raguse et Ancône au XVIe siècle, Ancône encore, puis surtout Trieste au XVIIIe siècle, connaissent une fortune qui ne se nourrit pas seulement du recul commercial et politique de Venise. », p. 1270.

[2] *Port Books of Southampton for the Reign of Edward IV*, edited by D. B. Quinn and A. A. Ruddock, vol. II, pp. 1477-1481, Southampton, Cox & Sharland, 1938, p. xviii.

[3] **EMECEN (Feridun)** : « From the founding to Küçük Kaynarca », in Ihsanoglu, Ekmeleddin, ed. *History of the Ottoman State, Society and Civilisation*, vol. I. Istanbul, Research Centre for Islamic History, Art and Culture, 2001, p. 32.

[4] With this dynamic expansion in the Black Sea from the conquest of Istanbul in

Egypt (1517), the incorporation of Algiers (1520), and the conquest of Tunis (1574). The seizure of Belgrade in 1521 and the taking of Rhodes the following year (1522) were the keys to the military successes of the Ottomans[5]. Another diplomatic trophy was the request of the French to help them against the Habsburgs under Charles V. This was followed with the victory at Mohacs in 1526 and the rise of Hayreddin Barbarosa, a development that followed the Ottoman expansion and successes on land against the German wing of the Habsburgs. The French played an important role in that struggle, supporting the activities of the Ottomans in the Mediterranean against the Spanish wing of the Habsburg Empire[6].

The Ottoman Empire from the Kanuni Sultan Suleyman onward covered about two thirds of the Mediterranean proper, and the whole of the Black Sea; the Eastern part of the Mediterranean controlled by the Ottomans in the sixteenth century was twice the size of the western part that can be considered a shared maritime space between several states, and where again the Ottoman state was the biggest player[7]. In the sixteenth century the Ottomans came to dominate the main regions where non-Mediterranean and non-European goods were traded, especially the Middle East and Northern Africa.

1453 to the incorporation of Crimea in 1475 together with domination of Moldavia, the Black Sea was to become a Turkish lake and the Black Sea commerce fell entirely under Ottoman control. **EMECEN (Feridun)**: *Art. cit.*, p. 23.

[5]*Ibid.*, p. 32-33.

[6]*Ibid.*, p. 38.

[7]In the Strait of Sicily, a shallow ridge at 400 m depth separates the island of Sicily from the coast of Tunisia and divides the sea into two main subregions: the western (area=0.85 million km^2) and the eastern (area=1.65 million km^2). Coll M, Piroddi C, Steenbeek J, Kaschner K, Ben Rais Lasram F, et al. (2010) The Biodiversity of the Mediterranean Sea: Estimates, Patterns, and Threats. PLoS ONE 5(8): e11842. doi:10.1371/journal.pone.0011842; for a general view of the Mediterranean see also **BRAUDEL (Fernand)**: *The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II.* Vol. I. Transl. Sian Reynolds, University of California Press, 1995. While for the specific case of the Eastern Adriatic which relates to the Albanians and Dalmatians see **IVETIC (Egidio)**: *Adriatico orientale. Atlante storico di un litorale mediterraneo*, Rovinj, Centro di Ricerche Storiche, 2014.

2. The Eastern Adriatic and Algiers as maritime borderlines

In the Western Mediterranean, Algiers was the most active and powerful centre of activity of the Ottoman navy. North of Africa was divided in spheres of influence as early as the end of the thirteenth century. The Convention of Soria between Castile and Aragon in 1291 divided the zone of influence to be conquered from the Muslims in Africa and, in the fourteenth century, the European trade of North Africa was exclusively in the hands of the Catalans and Genoese[8]. This seems to be the reason why the economic, social, and political situation of North Africa follows the same downward dynamic of other Central Mediterranean states in the later Middle Ages[9].

This should not surprise us, because religious identity rarely determined the nature of relations on the ground, and the merchants adapted responses to conflict based on context, personal motivation, and gain, not on religious or political rhetoric. This points to a general Mediterranean merchant culture that involved shared cultural norms and expectations of behaviour. In the fourteenth century there were colonies of merchants from Pisa, Florence, and Genoa in all the major North African ports from Safi in Morocco to Tunis. There were also colonies of Catalan merchants in at least some of them, like Bougie and Tunis[10].

All the three major areas where the Ottoman expansion in the fifteenth and sixteenth centuries happened were going through difficult times in the previous two centuries. To these should be added also the Balkan peninsula that shared similar or probably more dramatic dynamics with the general decline of the Mediterranean in the later Middle Ages[11].

---

[8]**BISSON (Thomas N.)**: *The Medieval Crown of Aragon. A Short History*, Oxford, Clarendon Press, 1986, p. 170.

[9]**ABULAFIA (David)**: « Catalan Merchants and the Western Mediterranean, 1236-1300: Studies in the Notarial Acts of Barcelona and Sicily », *Viator*, 16, 1985, p. 216.

[10]**SPUFFORD (Peter)**: *Power and Profit: The Merchant in Medieval Europe*, London, Thames & Hudson, 2002, pp. 20-22.

[11]**MUHAJ (Ardian)**: *Nga Ballkani në Mesdhe. Shqiptarët nga mesjeta në agimin e kohës së re*, Tirana, Akademia e Studimeve Albanologjike, Instituti i Historisë, 2019, pp. 19-20.

Territorial expansion can be expressed through the conquest territories of other states, or through colonization and conquest of new spaces. The monolithic, dynamic empire of the Ottoman stood out in increasingly stark contrast with this downward economic dynamic. Not only Venice and the Ottoman state, but also the maritime republic of Ragusa, met from the fourteenth century and until the seventeenth century, the greatest development period, making it one of the richest and most prosperous cities in the Mediterranean[12].

The 16th and 17th centuries are the period of blooming of slavery, piracy, and captivity of people in the Mediterranean. But above all, these two centuries have seen the boom of navigation in the Great Sea. The particularity of the Mediterranean navigation in these two centuries is that apart from the volume of trade also increase the geography of navigation. Due to the closed nature of the Mediterranean and the medium or subtropical climate, without a steady stream of winds, sailing on this great sea that joins three continents depended on the human labour that in some respects was the motor power of the ships. The political reconfiguration of the Mediterranean in the 16th century more that the development of trade made necessary the even-wider use of human power for the movement of ships through rowing. The demand for rowers multiplied compared with the 15th century. Before the 16th century no Mediterranean state was transcontinental or stretched on both shores of the Mediterranean. But the occupation of Ceuta, Tangiers, Alcácer Quibir, by the Portuguese in Morocco, and of Tunis, Oran, Melilla by the Spanish in North Africa, the occupation of Egypt and the expansion in Algeria of the power of the Ottomans, made each of these states stretch simultaneously on two or more continents, on two or more shores of the Mediterranean. This increased the need for communication by sea and, consequently, the need for manpower to sail the ever-increasing ships.

The confrontation between the Ottoman Empire and the Habsburg Monarchy in the Mediterranean in the 16th-17th centuries creates an atmosphere of continuous maritime warfare, which occasionally unfolded in open sea battles such as that of Lepanto in

[12]**CARTER (F. W.)**: « The Commerce of the Dubrovnik Republic, 1500-1700 », *The Economic History Review*, 24, no. 3, 1971, pp. 370-394.

1571, Preveza, Goleta, but finds its most striking form in the uninterrupted war of sea piracy and constant reprisals on the shores of the adversary.

The enslavement of people to be used by the fleets of the Mediterranean quickly transformed into a real industry without which contemporaries saw the impossibility of retaining marine fleets. For various reasons but mainly religious ones the enslavement of co-religious was a practice that happened very rarely compared with the enslavement of people of other religions. However, there were exemptions even in this.

Sea piracy and fierce reprisals against coastal lands produced dozen and maybe hundreds of thousands of prisoners of war sold in Muslim and Christian markets. On one hand, we have Messina, Venice, Naples, Genoa, Malaga, Palma de Mallorca, Valencia, Sevilla, Lisbon. On the other we have, Istanbul, Thessaloniki, Smyrna, Alexandria and Cairo, Tripoli, Tunis and Bizerte, Algiers, Tetuan, Fez, Marrakesh and Sale. Muslim and Christian missionaries carried out negotiation of exchange or release of captives, some of whom, after several years, returned to their country. Some others choose the path of conversion to the religion of their masters[13].

3. Great men for the Great Sea

The participation of Albanians and Dalmatians in this industry and market of forced labour increased with the same pace of the increase of their participation in navigation in the Mediterranean. It was in the 16th century that the contacts of the Albanians and the Dalmatians with the seas around them increased more and more and we may say that the 16th-17th centuries constitute the period where Albanians, but also Dalmatians can be found everywhere in the Mediterranean. Hence the presence and role of Albanians and Dalmatians as captives, pirates and privateers in this sea becomes increasingly significant.

The geography of Albanians' presence reached Algiers in the West and up to Yemen and India in the East. In the 16th century, Algiers became one of the most important cities in the

[13]**BENNASSAR (Bartolome)**, **BENNASSAR (Lucile)**: *Les Chrétiens d'Allah, l'histoire extraodinaire des renégats XVI-XVII*[e] *siècles*, Paris, 1989, pp. 18-19.

Mediterranean, certainly the most important Muslim port-city in the Western part of this sea. The predominance of Algiers as a port started during 1516-1520 when the brothers Oruç and Hayreddin Barbarossa settled there and established the regency of Algiers. The history of Algiers in the 16th century cannot be complete without the story of two Albanians that left their mark not only in Algiers but in the entire Western Mediterranean: Muhammed Arnaut and Murat Reis.

Muhammed the Albanian (Memi Arnaut) was a prominent figure not only as a sailor but also as a state diplomat[14]. He kept regular correspondence with European statesmen of the time, exchanging various gifts with them, such as the Medici's of Florence[15]. A particular episode of his life was the capture of the soldier and future writer Miguel de Cervantes[16]. Cervantes mentions Muhammed Arnaut several times as a fictional character in his works, since he knew him well personally[17].

Muhamed the Albanian or Arnaut, in 1582, when he was in the office of governor, on one occasion, ordered all privateers of Algiers to gather and told them openly that they were all a bunch of incapables, apart from his friend Murat the Albanian. After that he led the captains of 22 galleons and galleys toward Sardinia where

[14]**HAEDO (Diego de)**: *Topografía e Historia General de Argel, repartida en cinco tratados, do se veran casos estraños, muertes espantosas, y tormentos exquisitos, que conuine se entienden en la Christiandad: con mucha doctrina y elegancia curiosa,* Valladolid, 1612, p. 90.

[15]« Et per non havermi al presente corso altro che mandar a Sua Altezza Serenissima per Giacobo Brangia scrivano del nostro capitano Arnaot Memi bei, mando Geronimo Salvino polsano et Sebastiano de Paula pisano sudditi di Sua Altezza Serenissima con doi cavalli et doi leoni et uno struzzo ». Archivio di Stato di Firenze, *Mediceo del Principato*, busta 4279, fl. 36, 20 October 1586.

[16]**CERVANTES (Miguel de)**: *El ingenioso hidalgo Don Quixote de la Mancha*, Madrid, Iuan de la Cuesta, 1605, parte primera, capitulo XLI, p. 244. This statement of Cervantes seems to support the opinion of Navarrete who thinks that Cervantes was not captured from Memi Arnaut. According to this author Cervantes knew very well Memi Arnaut, but this does not mean that he was his slave. Cf. **NAVARRETE** (Martín Fernández de): *Vida de Miguel de Cervantes Saavedra. Escrita e ilustrada con varias noticias y documentos inéditos pertenecientes a la historia y literatura de su tiempo*, Madrid, Real Academia Española, 1819, p. 356.

[17]**MUHAJ (Ardian)**: « Rreth pranisë së shqiptarëve në Mesdheun Perëndimor në shekujt XVI-XVII », *Univers*, nr. 7, Tiranë, 2005, pp. 198-212.

he landed 1.500 soldiers that marched to a city around 40 miles inland. There they kidnapped around 700 people, which were sent in a small island near the coast where they raised the ceasefire flag and invited inhabitants to release their fellow citizens against the reward. Near Barcelona he captured around 50 people and continued further West. There he stopped near Alicante, from where some Spanish Muslims had written to help them go to Algiers, since after the fall of Granada in 1492, Spanish Muslims and Jews were forced to convert to Christianity. Shortly thereafter, many soldiers landed on the shore to protect and assist over two thousand men, women, and children, who escaped along with their possessions[18].

Another famous and important Albanian in Algiers is Murat Reis, the Great[19]. A brave and adventurous captain, which Philip Gosse considers as one of the most famous sailors of all time[20]. Based on the evidence of Diego de Haedo, in his *Topografía e Historia de Argel*, the most famous and most important source about Algiers of the late sixteenth century, we can see that the captain which the writer Castillo Solorzano called "the biggest corsair among Muslims" is Murat Rais, the Great. Haedo writes: "On the number of galleons of the corsairs and their boats in Algiers in 1581: ... 5. Murat Rais, the Great, Albanian Muslim, two galeots, 24 banks ... 7. Murat Rais, Matrapillo, Spanish Muslim, one of 22 banks ... 11. Rais Murat, the youngest, Greek Muslim, one of 18

[18]**GOSSE (Philip)**: *Histoire de la Piraterie,* nouvelle édition, Paris, Payot, 1952, pp. 55-57.

[19]**HAEDO (Diego de)**: *Topografía e Historia General de Argel*, p. 84, states that he was, "de nación que nosotros llamamos albanés". In the same way that in a report on the corsairs of Algiers, Mourad Reis is mentioned as Albanian, as well as Mohamed the Albanian: « Arnaot Mami, capitán de la mar de Argel y cabeza de los corsarios, renegado esclavón de los Arnautes… Morat Arráez, que dicen el Grande, renegado esclavón, Arnaut ». British Museum, *Add*. 28.366. fl. 148; **HERRERO GARCÍA (Miguel)**: « Morato arráez », *Revista de Filología Española*, Madrid, 1926, pp. 181-182. In 1588, the 35 galleys in Algiers "were commanded by eleven Turks and twenty-four renegades, including nations of France, Venice, Genoa, Sicily, Naples, Spain, Greece, Calabria, Corsica, Albania, and Hungary, and a Jew". Cf. **LANE-POOLE (Stanley)**: *The Story of the Barbary Corsairs*, London, T. Fisher Unwin, 1890, pp. 201-202.

[20]**GOSSE (Philip)**: *Histoire de la Piraterie*, 1952, p. 57; **COINDREAU (Roger)**: *Les corsaires de Salé*, Paris, Institut des Hautes Etudes Marocaines, 1948, p. 25.

banks[21]". Haedo goes confessing his maritime feats year after year until 1595 when he ends his chronicle[22].

His whole life is full of adventure and campaigning at sea, but the boldest was the expedition of 1585 when Murat Reis realized the most famous enterprise of his life by doing what no Ottoman sailor had ever done before: crossing of the Strait of Gibraltar and raiding in the Atlantic Ocean. Until then, the most prominent Ottoman sailors sailed close to the shores except when they had to cross the Mediterranean. The squadron of Murat crossed the Strait of Gibraltar and sailed all the distance needed to reach the Canary Islands. A space that it was unknown to the Ottomans as it was a century ago for Europeans[23].

Murad had taken a prisoner by the Canary Islands saying he knew the route, but when after many days of arduous rowing, the Canarian pilot said to Murat that he was afraid that they had lost the orientation and had passed Canaries, Murat's answer surprised everyone: "even though I've never been there, I am sure that what you say is impossible. So, go in that direction." Murad was right. A short time later, they spotted one of the islands of the archipelago, the Lanzarote.

After about 250 soldiers landed at night, they took about 300 captives, including the mother, wife, and daughter of the governor of the archipelago. The next day, Murat raised the ceasefire flag and started the negotiation for the liberation of the captives.

Although Murad did not hesitate to take the return trip, the news of the attack had arrived in the Spanish royal court before he arrived in Gibraltar. Near the Straits of Gibraltar was the Great Admiral of Spain, Don Martin de Padilla in charge of a squadron composed of 18 galleys, waiting for him. But it came to pass through the strait on a foggy night, and even he took some time to

---

[21]**HAEDO (Diego de)**: *Topografía e Historia General de Argel*, p. 18.

[22]Haedo says that he is Albanian "de nacion que nosotros llamamos albanes". Cf. **HAEDO (Diego de)**: *Op. cit.*, p. 84.

[23]"Duro in expressing the view that the Barbary corsairs had no leaders of the quality of the overlooked the lack of contemporary evidence that any of the Barbarossas ever entered the Atlantic or inflicted any great damage on the coasts of Spain." **FISHER (Godfrey)**: *Barbary Legend. War, Trade and Piracy in North Africa 1415-1830*, Oxford, Clarendon Press, 1957, p. 129.

fire with artillery, in defiance of the Spanish admiral[24].

The fact that Murat Rais was so sure in the trajectory of its fleet when others had lost orientation is clear evidence that the Great captain possessed accurate cartographic information about the location of the Canary Islands even though he had never sailed in those waters. The possibility that Murad was in possession of exact geographical mapping of some African coast and the Atlantic Ocean, to overcome the empirical information of local seamen we can see clearly from the dialogue with the Canarian seafarer. The work of the Ottoman seafarer Piri Reis, *Kitâb-ı Bahriye*, dated 1521 and based in Columbus original maps on the configuration of the Atlantic and the newly discovered territory of America is monumental evidence of geographic information possessed by the Ottomans[25]. We can consider this expedition of Murat Rais in the Atlantic as the first one of the few cases where detailed mapping information of the *Kitâb-ı Bahriye*, had practical application[26].

His figure was also one of the most prominent literary characters of the Spanish literature of the "golden age"[27]. But literary commentators have been puzzled in that it is a real or fictional character[28].

According to data provided by Haedo, captain Murad the Albanian was born to Christian parents[29]. At the age of 12 fall into

---

[24]**HAEDO (Diego de)**: *Topografía e Historia General de Argel*, p. 90: "le dixo el piloto que dudava no huuiesen passado muy adelante y errado el biaje, pero el Morato le respondio que no era posible, y siguiendo adelande descubrieron tierra en la Isla del Lançaloto".

[25]**SOUČEK (Svat)**: «Piri Reis and Ottoman Discovery of the Great Discoveries», *Studia Islamica*, vol. 79, 1994, p. 134.

[26]**MUHAJ (Ardian)**: « Ottoman Corsairs in The Atlantic During the 16th Century: Murat Rais, The Albanian and The First Ottoman Expedition to The Canary Islands », in *Uluslararasi Piri Reis ve Türk Denizcilik Tarihi Sempozyumu, Istanbul 26-29 September 2013*, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2014, pp. 261-269.

[27]**LOPE DE VEGA Y CARPIO (Félix)**: *Fiestas de Denia*, Valencia, 1599, cap. II, pp. 59-61.

[28] **SCHEVILL (Rodolfo)** and **BONILLA (Adolfo)**: *Obras completas de Miguel de Cervantes Saavedra. Comedias y Entremeses.* Tomo I, Madrid, Imprenta de Bernardo Rodríguez, 1915, pp. 241-242.

[29]**FISHER (Godfrey)**: *Barbary Legend. War, Trade and Piracy in North Africa*, p. 89, notes "The career of this remarkable man, who soon helped to restore Turkish naval supremacy in the Mediterranean at the expense of Spain and

the hands of prominent seafarer of Algiers, Kara Ali, who saw his talents in the exercise of the art of navigation. Ph. Gosse, says that Murad was the first among independent Ottoman captains that sailed more for their own account rather than included in the navy[30].

In the siege of Malta in 1565, after the defeat of the Ottoman fleet, he was tired of the monotony of discipline and service in the Ottoman fleet and left without asking anyone to navigate on their own account, with the galleon that Kara Ali had given to him. When he returned to Algiers, he had to face the wrath of Kara Ali, who took from him the rowers and did not gave him another vessel. But Murad, still young, attracted by marine life, could not give up, until he found a galley of 15 rows and left towards the coast of Spain. After 7 days returned bringing three Spanish bergantins and 140 prisoners. This successful incursion gave him great reputation. Then he started to work under the orders of the Calabrian Uluxh Ali, an old and well-known captain in Algiers. At this time, he carried another successful action, completed with the capture of three Maltese galleys on the coast of Sicily. In January 1578 he could have a fleet consisting of several galleons owned by him and begins to act as Captain or Rais already. The most important action of this year was when he took the galley Santangel, in which was traveling to Spain the Duke of Terranova, former vice-Roy and general captain of Sicily.

That was nothing compared to a year after which made his name as famous as that of the English seafarer Francis Drake, who had just returned from his expedition around the globe[31]. In April 1580 he sailed from Algiers with only two galleons, then he sailed smoothly off the shores of Tuscany when he finds two large galleys which were owned by Pope Gregory XIII, and one of them named *La Capitania* was the papal admiral ship. Although the papal galleys were equipped and well-armed, the ingenuity and ability of Murat triumphed, becoming master of the two galleys. Although the main papal officials managed to escape, Murad did not go without

---

appears to have been a good friend of England, has been strangely neglected by historians".

[30]**GOSSE (Philip)**: *Op. cit.*, p. 57; **COINDREAU (Roger)**: *Op. cit.*, p. 25.

[31]**GOSSE (Philip)**: *Op. cit.*, p. 58; **CASTILLO SOLÓRZANO (Alonso)**: *Tiempo de regocijo y Carnestolendas de Madrid*, Madrid, 1627, p. 164.

anything, because the ships were left filled with treasures and people. Hundreds of Muslims and many Christian prisoners, a good portion of them church officials, who for various reasons were detained by the papacy were released[32].

Murat the Albanian continued his feats, protected, and supported by his friend, seafarer and great diplomat, Muhammad Arnaut. Two years after his first incursion in the Canary Islands, he undertook another incursion organized with 18 galleons and seemingly in collaboration with Queen Elizabeth[33].

Murat the Albanian took office as admiral of Algiers in 1595. According to Godfrey Fisher: « His official career was, however an honourable and eventful one, which brought him into contact with French ambassadors, eminent London merchants, the governors of Marseilles, and even James I and his successor »[34].

It seems that since his expeditions in 1585 and 1587 in the Canary, and since the appointment as admiral of Algiers in 1595, his career resembles a pilgrimage to his homeland, Albania, which he visited frequently, probably taking opportunity of the fact that there could find shelter not only from the winds, but also from the enemies[35].

Thus, after Algiers, in the years 1603-1607 seems that he moved to Tunis as admiral or beylerbey[36]. In 1607[37] or in 1608 he was appointed beylerbey of Morea. According to the testimony of

---

[32]**HAEDO (Diego de)**: *Op. cit.*, p. 84.

[33]"In 1587 he was reported to be making another voyage to the Canaries with eighteen galleys to annoy Spain in concert with Queen Elizabeth." Cf. **FISHER (Godfrey)**: *Op. cit.*, p. 127.

[34]*Ibid.*, pp. 89, 315.

[35]Letter of Murad III to the Beylerbey of Algiers stating that the Venetians had complained that Murad Reis had captured in the Adriatic a ship from the Dalmatian city of Split with 15 thousand ducats worth in money and merchandise, in addition to a ship from the other Dalmatian cities of Perast and Kotor and another one from Budva. Cf. ASV, *LST, busta* 8, 1591; **PEDANI FABRIS (M. P.)** Ed.: *I «Documenti turchi» dell'Archivio di Stato di Venezia, Inventario della miscellanea*, Roma, Ministero per i beni culturali e ambientali, Ufficio centrale per i beni archivistici, 1994. doc. 1018, p. 258; **PUST (Klemen)**: « Beneško-osmanski pomorski spopadi na Jadranu v 16. Stoletju », *Povijesni prilozi*, 38, 2010, pp. 117-118.

[36]**PIGNON (Jean)**: « Gênes et Tabarca au XVIIème siècle », *Les Cahiers de Tunisie*: *revue de sciences humaines*, vol. 109-110, 1979, doc. 67, pp. 82-83.

[37]**FISHER (Godfrey)**: *Op. cit.*, p. 316.

Knight he died in 1638 in Vlore, Albania, at the age of 104 years[38].

4. The Albanian coast as a shelter for Algerian ships

The presence of Algerian sailors and captains in the Adriatic was also an important aspect that increased hugely the interaction between the Adriatic and the Algerian shores. The Albanian coast in the Adriatic and especially the port of Vlora were the mostly frequented places in the Adriatic from Algerian sailors. Vlora was also the centre of Albanian navigation in the 16th century, until in the 17th century the baton gradually passed to Ulcinj. One of the most important moments to be noted is the incident that happened in the harbour of Vlora in 1638 when the fleet of Algiers and Tunis composed of 16 galleys entered the Adriatic while the Venetian fleet was sailing towards Crete. When the Venetian fleet returned to the Adriatic the Algerian fleet found shelter in the harbour of Vlora. The Venetians while besieging the castle of Vlora attacked the Algerian fleet. The war between the Ottoman state and Venice was very eminent, but because the Sublime Porte was engaged in a campaign against Persia, it was postponed[39].

Likewise, the Croatian Uskoks who in the wake of the conflict between the Ottomans and the Habsburgs attacked with no distinction not only the Ottoman ships and shores of the Adriatic, but also of those of Christian states, especially of Venice and Ragusa[40].

---

[38]Knight witnessed the end at Valona in 1638 of 'Murate a renegade of the Corsica nation, a person of great honour in Algiers, lieutenant general of the armada… a man of 104 years of age, whose desire was to die in the face of the Christians fighting the battle of Mahomet'. Cf. **OSBORNE (Thomas)**: *A Collection of Voyages and Travels, consisting of authentic writers in our own tongue, which have not before been collected in English, or have only been abridged in other collections. And continued with others of note, that have published histories, voyages, travels, journals or discoveries in other nations and languages, relating to any part of the continent of Asia, Africa, America, Europe, or the islands thereof, from the earliest account to the present time*, vol. ii, London, Thomas Osborne, 1745, p. 477.

[39]**LANE (Frederic C.)**: *Venice. A Maritime Republic*, Baltimore, The John Hopkins University Press, 1973, p. 408.

[40]**BARTL (Peter)**: « Die Dulcignoten. Piraterie und Handelsschiffahrt im Adriaraum (18. Jahrhundert) », in *Südost Europa unter dem Halbmond. Untersuchungen über Geschichte und Kultur der Südosteuropäischen Völker*

The change of the political situation from war to peace and vice versa was immediately reflected in the change of sailors from pirates to privateers and vice versa. Any times there were war clouds on the horizon sailor of both sides wouldn't hesitate to transform from sailors into privateers and undertake action to capture prisoners of the adversary of third parties. This animosity of the authorities against pirates sailing independently sometimes put both parties on the same side against them as in the case of November 1608, when the cadi of Preveza through a document certified that the Captain of the Golf, Augusto da Canal, had arrived with four or five galleys in Preveza and handed to the cadi, in fulfilment of a request by the Sultan, 33 slaves, of which 30 still in chains, captured a year ago in the galley of Algerian reis Murat the Spaniard in waters around Paksos[41].

Another aspect to be noted is the slavery and slave trade between the Adriatic and the Western Mediterranean. Slaves were freely sold in the European and Ottoman markets just like in the African, American or Asian markets. At the fairs that took place in the Albanian territories and in the Balkans, such trade took place as well. The price in average reached two thousand akce, or three time the average price of a good horse that cost 600-650 akce[42]. Thus, the number of slaves sold in one of the most known fairs in the Balkans, that of Moskullur was usually around 200 people for each fair, coming from everywhere in the Mediterranean, including North Africa[43].

Conclusion

The rise of Algiers into prominence in the Western Mediterranean happens parallelly with the unfolding of the

---

Während der Türkzeit, Prof. Geog Stadtmüller zum 65. Geburtstag gewidmet, München, Rudolf Trofenik, 1975, p. 18.

[41]29 november 1608. Hüccet of the kadi of Preveza. **PEDANI FABRIS (M. P.),** *Op. cit.*, nr. 1165.

[42]**INALCIK (Halil)**: « Servile Labor in the Ottoman Empire », in *Studies in Ottoman Social and Economic History*, London, Variorum Reprints, 1985, vii, pp. 43-44.

[43]In April 1626, in the Albanian coast arrived three ships loaded with slaves from North Africa (*Barbaria*). Cf. **FAROQHI (Suraiya)**: « The Early History of the Balkan Fairs », *Südost-Forschungen*, 37, 1978, pp. 57-59.

importance of the Eastern Adriatic in the maritime developments of the Adriatic and of the Mediterranean. Dubrovnik and Vlore emerge as dynamic centers of maritime activity while the presence of Albanian and Dalmatian sailors, soldiers, and traders in Algiers became more and more significant.

The political reconfiguration of the Mediterranean in the 16th century, the development of trade and the confrontation between the Ottoman Empire and the Habsburg Monarchy creates an atmosphere of continuous maritime warfare, that fuels piracy and captivity of people in the Mediterranean.

The participation of Albanians and Dalmatians in this industry and market of forced labour increased apace with their participation in the Mediterranean trade and communication. Hence the presence and role of Albanians and Dalmatians as captives, pirates and privateers in the Mediterranean becomes increasingly significant. Muhammed the Albanian (Memi Arnaut) as a prominent figure not only as a sailor, but also as a state diplomat in Algiers at the end of the 16th century and Murat Reis, are remarkable examples of this continuous relationship between the opposite shores of the Ottoman Mediterranean.

The presence of Algerian sailors and captains in the Adriatic was also important for the increased interaction between the Adriatic and the Algerian shores.

Bibliography

-ABULAFIA (David): « Catalan Merchants and the Western Mediterranean, 1236-1300: Studies in the Notarial Acts of Barcelona and Sicily », *Viator*, 16, 1985, 209-242.

-BARTL (Peter): « Die Dulcignoten. Piraterie und Handelsschiffahrt im Adriaraum (18. Jahrhundert) », in *Südost Europa unter dem Halbmond. Untersuchungen über Geschichte und Kultur der Südosteuropäischen Völker Während der Türkzeit, Prof. Geog Stadtmüller zum 65. Geburtstag gewidmet*, München, Rudolf Trofenik, 1975.

-BENNASSAR (Bartolome), **BENNASSAR (Lucile)**: *Les Chrétiens d'Allah, l'histoire extraodinaire des renégats XVI-XVII^e siècles*, Paris, 1989.

-BISSON (Thomas N.): *The Medieval Crown of Aragon. A Short History*, Oxford, Clarendon Press, 1986.

-**BRAUDEL (Fernand)**: *The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II.* Vol. I. Transl. Sian Reynolds, University of California Press, 1995.
-**BRAUNSTEIN (Philippe)**: « À propos de l'Adriatique, entre le XVIe et le XVIIIe siècle », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*, 26e année, N. 6, 1971, 1270-1278.
-**CARTER (F. W.)**: « The Commerce of the Dubrovnik Republic, 1500-1700 », *The Economic History Review*, 24, no. 3, 1971, 370-394.
-**CASTILLO SOLÓRZANO (Alonso)**: *Tiempo de regocijo y Carnestolendas de Madrid*, Madrid, 1627.
-**COINDREAU (Roger)**: *Les corsaires de Salé*, Paris, Institut des Hautes Etudes Marocaines, 1948.
-**CERVANTES (Miguel de)**: *El ingenioso hidalgo Don Quixote de la Mancha*, Madrid, Iuan de la Cuesta, 1605.
-**EMECEN (Feridun)**: « From the founding to Küçük Kaynarca », in Ihsanoglu, Ekmeleddin, ed. *History of the Ottoman State, Society and Civilisation*, vol. I. Istanbul, Research Centre for Islamic History, Art and Culture, 2001.
-**FAROQHI (Suraiya)**: « The Early History of the Balkan Fairs », *Südost-Forschungen*, 37, 1978, 57-59.
-**FISHER (Godfrey)**: *Barbary Legend. War, Trade and Piracy in North Africa 1415-1830*, Oxford, Clarendon Press, 1957.
-**GOSSE (Philip)**: *Histoire de la Piraterie*, nouvelle édition, Paris, Payot, 1952.
-**HAEDO (Diego de)**: *Topografía e Historia General de Argel, repartida en cinco tratados, do se veran casos estraños, muertes espantosas, y tormentos exquisitos, que conuine se entienden en la Christiandad: con mucha doctrina y elegancia curiosa*, Valladolid, 1612.
-**HERRERO GARCÍA (Miguel)**: « Morato arráez », *Revista de Filología Española*, Madrid, 1926, 181-182.
-**INALCIK (Halil)**: « Servile Labor in the Ottoman Empire », in *Studies in Ottoman Social and Economic History*, London, Variorum Reprints, 1985.
-**IVETIC (Egidio)**: *Adriatico orientale. Atlante storico di un litorale mediterraneo*, Rovinj, Centro di Ricerche Storiche, 2014.
-**LANE (Frederic C.)**: *Venice. A Maritime Republic*, Baltimore, The John Hopkins University Press, 1973.

-**LANE-POOLE (Stanley)**: *The Story of the Barbary Corsairs*, London, T. Fisher Unwin, 1890.
-**LOPE DE VEGA Y CARPIO (Félix)**: *Fiestas de Denia*, Valencia, 1599.
-**MUHAJ (Ardian)**: « Rreth pranisë së shqiptarëve në Mesdheun Perëndimor në shekujt XVI-XVII », *Univers*, nr. 7, Tiranë, 2005, 198-212.
-**MUHAJ (Ardian)**: *Nga Ballkani në Mesdhe. Shqiptarët nga mesjeta në agimin e kohës së re*, Tirana, Akademia e Studimeve Albanologjike, Instituti i Historisë, 2019.
-**MUHAJ (Ardian)**: « Ottoman Corsairs in The Atlantic During the 16th Century: Murat Rais, The Albanian and The First Ottoman Expedition to The Canary Islands », in *Uluslararasi Piri Reis ve Türk Denizcilik Tarihi Sempozyumu*, *Istanbul 26-29 September 2013*, Ankara, Türk Tarih Kurumu, 2014, 261-269.
-**NAVARRETE** (Martín Fernández de): *Vida de Miguel de Cervantes Saavedra. Escrita e ilustrada con varias noticias y documentos inéditos pertenecientes a la historia y literatura de su tiempo*, Madrid, Real Academia Española, 1819.
-**OSBORNE (Thomas)**: *A Collection of Voyages and Travels, consisting of authentic writers in our own tongue, which have not before been collected in English, or have only been abridged in other collections. And continued with others of note, that have published histories, voyages, travels, journals or discoveries in other nations and languages, relating to any part of the continent of Asia, Africa, America, Europe, or the islands thereof, from the earliest account to the present time*, vol. II, London, Thomas Osborne, 1745.
-**PEDANI FABRIS (M. P.)** Ed.: *I «Documenti turchi» dell'Archivio di Stato di Venezia*, *Inventario della miscellanea*, Roma, Ministero per i beni culturali e ambientali, Ufficio centrale per i beni archivistici, 1994.
-**PIGNON (Jean)**: « Gênes et Tabarca au XVIIème siècle », *Les Cahiers de Tunisie: revue de sciences humaines*, 109-110, 1979, 7-141.
-**PIRODDI (C.)**, **STEENBEEK (J.)**, **KASCHNER (K.)**, **BEN RAIS LASRAM (F.)**, **AGUZZI (J.)**, et al.: *The Biodiversity of the Mediterranean Sea: Estimates, Patterns, and Threats*, PLoS ONE 5(8), 2010, e11842, https://doi.org/10.1371/journal.pone.0011842.

-**PUST (Klemen)**: « Beneško-osmanski pomorski spopadi na Jadranu v 16. Stoletju », *Povijesni prilozi*, 38, 2010, 117-118.
-**QUINN (D. B.)** and **RUDDOCK (A. A.)**, Eds.: *Port Books of Southampton for the Reign of Edward IV*, Southampton, Cox & Sharland, 1938, vol. II, 1477-1481.
-**SCHEVILL (Rodolfo)** and **BONILLA (Adolfo)**: *Obras completas de Miguel de Cervantes Saavedra. Comedias y Entremeses.* Tomo I, Madrid, Imprenta de Bernardo Rodríguez, 1915.
-**SPUFFORD (Peter)**: *Power and Profit: The Merchant in Medieval Europe*, London, Thames & Hudson, 2002.
-**SOUČEK (Svat)**: «Piri Reis and Ottoman Discovery of the Great Discoveries», *Studia Islamica*, 79, 1994, 121-142.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 2 Issue 2 pp. 115-133
Issn: 2800-1184
Received: 11/07/2022 Accepted: 28/11/2022 Published: 29/12/2022

Some Notes on Life and Commerce in Algiers and Tunisia through the Unpublished Diary of Father Francisco Ximénez (18th century)

Bernabé Pons Luis F.♦
University of Alicante
email : luis.bernabe@ua.es

ملخص:

بعض الملاحظات عن الحياة و التجارة في مدينة الجزائر و تونس من خلال اليوميات غير المنشورة للأب فرانسيسكو خيمينيز (القرن الثامن عشر)

من خلال اليوميات التي كتبها الراهب الثالوثي فرانسيسكو خيمينيز دي سانتا كاتالينا خلال ثلاث سنوات في مدينة الجزائر (1718-1720)، و التي لا تزال غير منشورة، يمكننا تجربة شهادة قيمة للغاية عن حياة إيالة الجزائر، و خاصة في كل ما يتعلق بالقرصنة و حياة الأسرى. عمله كمدير مستشفى الثالوثيين في مدينة الجزائر، جعله مشاهدا متميزًا للعلاقات الإجتماعية و الشخصية ليس فقط بين الأسرى و السلطات، و لكن أيضًا بين مختلف الفئات الإجتماعية في المجتمع الجزائري. إن اهتمامه بما كان يحدث من حوله يوفر لنا معلومات ثمينة و مفصلة للغاية عن الحياة اليومية في مدينة الجزائر، و لكن أيضًا عن التجارة و فداء العبيد و الحياة الإقتصادية للجزائر في القرن الثامن عشر بشكل عام.

الكلمات المفتاحية:

مدينة الجزائر؛ فرانسيسكو خيمينيز؛ القرصنة؛ الأسرى؛ الحياة الإقتصادية؛ التجارة.

Abstract:

Through the diaries that the Trinitarian monk Francisco Ximénez de Santa Catalina wrote during three years in Algiers (1718-1720), which remain still unpublished, we can experience a very valuable testimony of the life of the Regency of Algiers,

♦ **Corresponding Author**

especially in everything related to privateering and the life of the captives. Director of the Hospital of the Trinitarians, his work in Algiers made of him a privileged spectator of social and personal relationships not only between captives and authorities, but also between different social groups in Algerian society. His attention to what was happening around provides us with precious, very detailed information about everyday life in Algiers, but also about trade, the redemption of slaves and in general the economic life of 18th century Algiers.

Keywords:
Algiers; Francisco Ximénez; Privateering; Captives; Economic life; Trade.

To Chakib Benafri, Akdeniz'de iyi bir arkadaş.

Introduction

Generally speaking, Spain was not very productive in 18th century in terms of travelers, diplomats or orientalists who visited the territories in Maghreb where the expelled Moriscos from Spain in 1609-1614 had settled. The most substantial news about them and their descendants were offered by French travelers such as Jean-André Peyssonnel[1], diplomats such as Joseph Morgan or Venture de Paradis[2], or orientalists such as George Sale[3].

The ironic side of the case is that both the consul Joseph

[1]**PEYSSONNEL (J.-A.)** : *Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger*, Paris, Gide et Pihan de La Forest, 1838. [Reed. Paris, 1987].

[2]**MORGAN (J.)** : *Mahometism Fully Explained: containing, I. The previous Disposition to, and the Method of the Creation …The Prayers, Ceremonies, Fasts, festivals, and other Rites observed by the Mahometans. With a Remarkable Description of the Day of Judgement. Writen in Spanish and Arabic, in the Year M. DC. III. for the Instruction of the Moriscos in Spain. By Mahomet Rabadan, an Arragonian Moor. Translated from the Original Manuscript, and Illustrated with Large Explanatory Notes. By Mr. Morgan.*, London, W. Mears, 1723 ; **VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel)** : *Alger au XVIII^e siècle*, Alger, Adolphe Jourdan, 1898.

[3]**EPALZA (M. de)**: « Relaciones del Cónsul británico Morgan con descendientes de moriscos en el Mágreb (siglo XVIII) », *Estudios de Filología Inglesa: Homenaje al Doctor Pedro Jesús Marcos Pérez*, Alicante, Universidad de Alicante, 1990, p. 615-620.

Morgan (quoting him)[4], and Jean-André Peyssonnel (without mentioning him)[5], took as source in their writings a Spanish figure who is a very first-hand source about the Moriscos installed in Algeria and Tunisia. A figure, moreover, who wrote his experiences and impressions of a long stay in the Maghreb for more than twenty years. He was the Trinitarian friar Francisco Ximénez de Santa Catalina (Esquivias, 1685 - Dosbarrios, 1758), who lived in Algiers (1718-1720) and in Tunisia (1720-1735) as a missionary of his order. During his stay he wrote several voluminous Diaries[6], encouraged by a desire to be a meticulous and interested observer and being favored on many occasions by the local authorities, making him a privileged narrator of this time[7].

Francisco Ximénez joined the *Trinitarian* order in 1700. He studied logic and philosophy, and completed his education by studying theology at the University of Salamanca in 1704. He was ordained priest in 1709, and from Toledo he was made major preacher and vicar of the convent of Cuéllar, Segovia. In 1717, along with other members of his order, he was assigned to North Africa to establish a Christian hospital in Oran. He arrived there on 4 May 1718 but, being unable to accomplish his objective, he moved to Algiers on 21 May 1718. In Algiers, he cared for Christian captives as senior preacher of the Trinitarians' hospital.

He began to write a diary (later called *Diario de Argel,* 3 vols, now in the Real Academia de la Historia in Madrid) in which he related his experiences in the city, the religious practices of the

[4]"I borrowed once a Manuscript in Barbary, of a Spaniard, but one of the most moderate Catholicks of that Nation, I ever met with", Morgan, *Mahometism Fully Explained*, vol. 2, p. 295.

[5]**ALVAREZ DOPICO (C. I.)** : « La *Colonia Trinitaria* de Francisco Ximénez: une source pour la Relation du médecin marseillais J.-A. Peyssonnel », in Sadok Boubaker y Clara Ilham Álvarez Dopico eds. *Empreintes espagnoles dans l´histoire tunisienne*, Gijón, Trea, 2011, p. 105-168.

[6]**DE BUNES (Miguel Ángel)** : « Una descripción de Túnez en el siglo XVIII : el diario de Francisco Ximénez », *Hesperia. Culturas del Mediterráneo*, 10, 2008, p. 85-96 ; **OULD CADI MONTEBOURG (Leila)** : *Alger, une cité turque au temps de l'esclavage, à travers le Journal d'Alger du père Ximénez (1718-1720)*, Montpellier, Université Paul-Valery Montpellier III, 2006.

[7]**BERNABÉ PONS (Luis F.)**: « Percepciones de las diferencias. Islam, moriscos y España en el siglo XVIII », *eHumanista*, 43, 2019, p. 17-29.

Muslims, the capital and its surroundings, etc[8]. In May 1720, he moved to Tunis with the intention of establishing there a hospital for Christian captives[9]. He met resistance though from both the Tunisian authorities and the Capuchins. Although the Capuchins were always supported in their pretensions by the French consul in the city, in 1722 Ximénez succeeded in founding the Hospital of San Juan de Mata, which remained active until 1817. He stayed in Tunis until 1735, travelling through the country to visit groups of Christian captives and accompanying the doctor and French epigraphist, Jean-André Peyssonnel. These travels allowed him to explore archaeological sites and tomb inscriptions. He collected all the information he gathered in four manuscript volumes of his *Diario de Túnez* (4 vols.) and in the eight volumes of his *Historia del Reyno de Túnez*[10]. He returned to Castile in 1735, where he carried out the office of retired *predicador general* and minister in the convent of Tejada in the town of Garaballa (Cuenca). He died in the convent of Dosbarrios (Toledo) probably between 1757 and 1760.

His diaries offer many of the most informative insights into the social, cultural, religious, archaeological and human features of Algiers and Tunis and their areas of influence. He was an exceptional witness of the daily life of the Ottoman Regencies in the 18th century, both for his constancy in writing (there are almost no days in these 18 years without a few lines) and for having been

[8]Prof. Malki Sofiane defended his doctoral thesis on Ximénez's Algerian diaries, offering, apart from an analysis of their contents, a critical edition of the text: *"Ottoman Algeria" on the threshold of the 18th century according to the Father's Diario de Algiers Francisco Ximénez: Historical study and critical analysis*, Doctoral thesis supervised by I. Terki-Hassaine and M.A. of Bunes Ibarra, University of Oran 2, 2018, 2 vols.

[9]**SEBAG (Paul)**: « L'hôpital des Trinitaires espagnols (1720-1818) », *Ibla*, 174, 1994, p. 203-218; **PORRES ALONSO (Bonifacio)**: « Los hospitales trinitarios de Argel y Túnez », *Hispania Sacra*, 48, n. 98,1996, p. 639-717; **ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « The Catholic Consecration of an Islamic dār. The Saint John de Matha Trinitarian Hospital in Tunis », in Stephen M. Caffey et Mohammad Gharipour (dir.), *Non-Islamic Sacred Sites in Muslim Territories*, Leyden, Brill, 2013, p. 291-307.

[10]**GARCÍA-ARENAL (Mercedes)**: « Nota a las traducciones manuscritas de F. Ximenez en la Real Academia de la Historia », *Al-Qantara*, 6, 1, 1985, p. 525-534.

in direct contact both with the life of the captives and with the day-to-day life in Algiers and Tunis. The most interesting aspect of his works is probably his description of the customs and traditions of the cities in which he lived. In both Tunis and Algiers, he describes a multi-ethnic city mix of Christians and Muslims, Ottomans, local inhabitants and renegades.

1. Ximénez met the Moriscos in Algiers.

When he arrived in Algiers, he is already a trained man. As a religious dedicated to the care of Christian captives, we can logically suppose that his thought was still in line with the general Catholic opinion on Islam and Muslim countries. However, it is convenient to bring up here a phrase from the English Consul Joseph Morgan regarding the Trinitarian friar, whom he knew personally: "I borrowed once a Manuscript in Barbary, of a Spaniard, but one of the most moderate Catholicks of that Nation, I ever met with." Morgan's sentence about Ximénez fits quite well with the reading of his works, in which, unlike anti-Islamic apologists and polemicists, there does not seem to be a combative and aggressive tone against those of a different religion. Ximénez sees Islam as a false belief, of course, and it could not be otherwise. But there are no violent religious diatribes or theological refutations. He was not a polemicist nor a theologian attacking Islam, but rather a student of Algerian and Tunisian culture[11].

Ximénez spent his time in the capital, Algiers, and in Tunis, as senior preacher at the Trinitarians' hospital. In the capitals of the Regencies, Father Ximénez began to display all his capacity to scrutinize the society that surrounds him, as well as to give an account of his activities in the hospital with the captives and before the Algerian authorities, especially before the Dey Muhammad ibn Hasan (1718-1724). In the society of Algiers and Tunisia Ximénez met with descendants of the expelled Moriscos, who occupied positions close to power, especially in the economic and social spheres and in fact he had close contacts with some of them. This would be the case of Achi (= Hajji) Muhammad Benamar,

[11]**ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « Algunos aspectos del Islam en el Túnez otomano a los ojos del trinitario Francisco Ximénez », *Rivista di Storia e Letteratura Religiosa* 51/3, 2015, p. 491-513.

descendant of one of the most famous Morisco families settled in Algeria. This family, documented since the 17th century in Algiers, was dedicated in the early days to crafts and petty trade, to later become integrated into larger businesses.

Mustafá Benamar was in Ximénez's time the most important slave owner in Algiers after the Algerian state itself, so his fortune must have been very considerable. His honorary title of Hajji or pilgrim to Mecca also indicated, along with his great economic capacity, the position of prestige he occupied within Algerian society. But in Ximénez's eyes, his fortune also came from a negative trait that the man from Toledo attributed to all "rich Moors":

> Benamar, Tagarino Moor and descendant of those who were expelled from Spain came to visit the Father Administrator. This is one of the individuals who has the largest number of captives in Algiers and sells them at a very high price[12].

> When Achi Mostafa Benamar asked some Spanish captives what hacienda a great from Spain would have, they replied that about six or seven million. To this he said, 'well I could also be a great one from Spain, that my wealth is even more than that'. 'Yes, it is', the captives told him, 'but consider His Excellence that a noble has more spend in a day than His Excellence in a year, or in years', and he spoke no more words. This Tagarino is one of those who were expelled from Spain and prides himself on being related, according to what he says, to the most illustrious families of Spain. However, with having as much as has been said, he deals with much misery; and with having nearly a hundred captives, he barely spends four silver rials each day at his house and he maintains the captives starving, naked, and needy, so much so that charity leads many of us to keep them in the hospital to meet their needs, because it leaves them to support themselves, without giving them anything[13].

[12] *Diario de Argel*, 20 August 1719.
[13] *Ibid.*, 1 de September 1719.

In Tunisia, the Trinitarian also located the descendants of the Moriscos who had settled in the Regency in the 17th century because he perceived that they could in some way help him in his mission to influence the authorities in favor of the Christian captives. Thus in 1722 he will meet Mahamut Çeriri, the Jaznadar or manager of the Treasury of the Bey Hussein ibn Ali, a character of enormous importance in Tunisian society:

> "He is *Jasnadal*, a descendant of Andalusian Moors who were expelled from Spain, a great politician and statesman, by whose opinion Assein Bin Aly, Bey of Tunis, governs his actions, and nothing else is done without him. He is very rich. He has built at his own expense, near his house, a marabout, which is like a hermitage with its tower, dedicated to Mahuya, who the Moors consider to be a saint, and next to it he has built a school to teach reading and writing the boys, pointing out some work for this work. Because *Jasnadal* is so important to the Bey, we have used him for our claims... "[14]

2. Daily life at the Hospital.

As said, his diaries, especially those of Algiers, describe the daily life in the Trinitarian hospital: the cures of wounded and sick people and the spiritual aid given to the captives there[15]. Likewise, the extreme unctions and deaths that are taking place in Algiers are scrupulously noted. He is especially shocked by the very numerous arrivals of Christians who have been whipped on the soles of their feet or their buttocks, generally for being suspected of theft: sometimes Ximénez himself is shocked to see the wounds of captives who have been beaten with sticks. In the same way, Ximénez's diaries abound in lurid details about the execution and punishment of captives, curious details about the traffic of images and figures of saint and Virgins that are in the Christian baths or the underground struggle that he maintains with Lutherans and

[14]Di*ario de Túnez*, March 2, 1722.

[15]**ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « La religiosité au quotidien : la captivité à Tunis à travers les écrits de fray Francisco Ximénez (1720-1735) », *Cahiers de la Méditerranée*, 87, 2013, p. 319-334.

Orthodox captives, trying to convince each other to convert to the other Christian faith.

Voluntariness and non-forcing appear as norms of the legal and economic systems followed by the Ottomans. Ximénez, although he always points out that the Bey's will is almost sacred, he also strives to point out that the consuls or themselves as religious men can protest what they consider to be abuses. In February 1719, Ximénez pointed out the punishment given to four Turks who raped a Morisco woman, the wife of a *ra'is*; the guilties will be sentenced to a thousand blows with sticks. Equally interesting is the case in the following month: the guardian *Bassi* has beaten three Christians for sodomy with a boy, a Christian slave of the *Baylique.* Ximénez is clear when he says that the laws on this sin are applied differently according to the nationality of the accused: "... just because they were Christians, they were given this punishment; if they were Turks, they would not wear any, but they would show off as usual. Not to punish this vice is the cause of its popularity". However, many times is a person directly sent from Istanbul who takes care of both justice and tax collection,

> An important Turk came with the dignity of Caya (= *kahiya*), as the Turks call him, or Cadí, as the Moors say, appointed by the Great Turk, the Emperor of Constantinople; and he was accompanied by four horsemen, and a *chauz* who entered walking close to him. The work of this Caya is to do justice, and he is the one who sentences all the civil lawsuits of the Kingdom; and sometimes the Great Lord sends him to collect the *garrama* or tribute that they pay to him. These [caya] are like the lawyers among the Christians, although they do not study any laws other than their Qur'an[16].

The traditional Islam-Christianity antagonism is indeed always alive: the bey is wary, but he refers to Islam by calling him "el Enemigo", "the Enemy". This does not avoid him from not having too much prevention, even showing admiration facing a particular figure. Thus, meeting the *buluk bassi* governor of Blida,

[16]*Diario de Argel*, year 1720, January 31.

he wrote: "He is a worthy Turk for whom all have great respect and who is loved by all for his kindness. He received us with much regale, saying that we were welcome, for whatever time suits us[17]."

The bitter reality of the country is met by him in the hospital. Europeans who live in Algiers, the religious men, the slaves of a lord who are at work, those who work or are cared for in the "infirmary", people who take care of captives, passing through redeemers and the apostolic vicar with whom the Trinitarians are sometimes in conflict. Also, non-religious people: Christian prisoners, slaves of the dey, consuls, more particularly the French consul, who is in charge of the protection of Christians, merchants and renegades. In Algiers, Ximénez lives in a European environment, although he has had contact with some Jews and some Muslims and he has met Turks and local notables in the city, but also in Blida and Boufarik.

3. Social differentiation.

Other foreigners in the city were "attracted to Algiers by promises of wealth, or by the possibility of improving their social status: this was the case of the recruits who regularly came to fill the gaps in the ranks of the militia." Father Ximénez relates in fact in his diary that: "The Great Lord Emperor of Constantinople, by virtue of the authority he says he has over this kingdom, allows Algerians to often go and recruit soldiers on his lands. They leave with three or four ships, they land in the provinces which seem most appropriate to them, they call for enlistment, and to the poor, the scoundrels, and the lazy they say to come with them, because they will give them the pay of the soldier, they say that they will be rich and that they can become kings, that they are the masters of the fortunes of the Moors and the Jews, that they will have women, and young boys in abundance to satisfy their vices, and other similar things, and that way they come with them"[18].

Nevertheless, the circumstances were not always pleasing. On September 27, 1719, a Turkish cook visited Ximénez in the hospital to offer his services and, when asked about his stay in

[17] *Diario de Argel*, fol. 114-115, year 1719, May 6.
[18] *Diario de Argel*, year 1720, « Historic Notes on Hospitals in Algiers », (Noticias históricas de los hospitales de Argel), Capítulo 1, fol. 140.

Algiers, he pointed out that he was brought by the Turks from Istanbul thanks to a deception, as they promised him that in Algiers, he would not lack women and boys, eat, drinking, and money. He said that many, deceived that way, abandon the provinces, where in order to obtain these pleasures, they must work hard and compete with authorities and renegades.

The Turks also drew on, in the same circumstances, to the *Couloughlis*, because "if they are at war with the neighboring kings, they admit the Couloughlis, whom they need to pay. At this moment they are at war with the king of Meknes, and they only have four thousand men on the campaign, because it seems to them that for the moment that number is enough to resist". The *Couloughlis* were therefore received at the payroll of the soldier, something confirmed by Laugier de Tassy when he informs of the privileges of Christians converted to Islam: "Renegade Christians have the same privileges as Turks, and are reputed to be such. As soon as they have embraced the Mohammedan religion, they are received at the payroll and can reach all the dignities, even the deylik, as long as both do not marry Arab or Moorish women. In this case, they never reach great dignities, and the children who come from the marriage of a Turk and a Moorish woman are not considered Turks and are called Coulolis. They are received at the payroll of the soldiers, but they never reach the government charges". Ximenez completes: "These Couloughlis who are half-breed of Turks and Moorish have the same privileges as the Turks except that according to their law they cannot be governors, and it is for this reason that they are punished in secret in the house of the agha: all receive the payroll of the soldiers but their children are considered Moors[19]."

The government of Algiers therefore managed the strength of the army by its cost, since the Zouaoua soldiers received only half pay and only half of the soldiers (6.000) were received on payroll. This fact may also mean that the government's revenues were declining, since its big expense was the militia pay, financed by taxes. This provision was undoubtedly also a political act, which allowed the dey and its council to reduce the power of the militia, by introducing into the army native people who would not

[19]*Diario de Argel*, year 1719, April 22.

necessarily have the same interests, nor the same behavior as the Turkish soldiers, of which they reduced the number and at the same time the force.

But not all Turks were militia soldiers. Civilians existed. The term "Turk" is also used in Algiers to refer to members of the army and civilians from the central regions of the Empire. Therefore, this is probably the term they themselves used as there were Turkish merchants from the Levant who lived in the fondouks.

> Les marchands turcs du Levant, ou autres qui viennent avec des marchandises à Alger, vont loger dans ces *fundus*, où ils ont toutes les commodités pour leur commerce. Les soldats aussi, qui ne veulent pas loger dans les casernes, y prennent des chambres à leurs dépens[20].

Father Ximénez also uses this term, when, about civilians, he writes: "Today we went to the governor's garden where there are as guardians a Turk who had been a slave in France and his Turkish wife also who had been a slave for seventeen years in Spain. She had been captured during the past wars of Hungary and she was taken to the port of Santa María where she remained until the English entered the city, then she fled and came here[21]."

Ximénez further defines the term: "As I said only can be soldiers the natural Turks, the renegades, the children of Turks and Turks, or children of Turks and renegades or renegades and Turkish women or renegade man and renegade woman; because all these have and are given the name of Turks[22]." Only these will be accepted as janissaries and will be able to enter the militia and in the ruling class. And "these Turks are of two kinds, Turks of origin or Turks of profession. Those of origin are those who come from Turkey, and their children. Those by profession are the renegades who, being children of Christian parents, become Muslims of their own free will, of which there have been and generally are from the

[20]**LAUGIER DE TASSY (Jacques Phillippe)** : *Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam : chez Henri du Sauzet, 1725, p. 105.
[21]*Diario de Argel*, year 1719, April 24.
[22]*Diario de Argel*, year 1720, « Noticias históricas de los hospitales de Argel », Chapter 1, fol. 142.

most distant regions of the world, as are the Abyssinians of the priest John. There must be two thousand of those in Algiers[23]." The militia, which numbered 12.000 men, would have had then in 1720, about 16,6% of professional Turks included in the six thousand (50%) received on payroll. There would therefore have been less than 4.000 Turks of origin, since the *Couloughlis* were also received on payroll.

The reality was more complex though. Not all renegades joined the militia and lived thanks to "their work or industry." For example, a renegade became a marabout: "There is in Algiers outside the city on an eminence towards the East a mosque where there is always a marabout. In the past years, a Mallorcan changed his faith and made himself a marabout, a sort of hermit of this mosque." The Christian slaves who lived inland, had little hope of being redeemed, except when amassing their ransom money themselves, because redemptions were made in the regencies in Algiers, in Tunis and Tripoli coastal towns. Moreover, converting to Islam did not necessarily give freedom, and it did not necessarily entail a change of status. Moreover, it was the merits of converted Christians that most often led them to social advance. Anyway, it was always a complicated affair because a conversion after the redeeming could affect both the price of the transaction and even the business itself:

> "And in the case that any slave of any state or condition, after being rescued, becomes Moor, his master or masters are forced to return to the Father Redemptor all the amount they received for him without any difficulty[24]."

[23]*Ibid.*, « Noticias históricas de los hospitales de Argel », Chapter 1, fol. 140.

[24]*Diario de Argel*, year 1720, March 4. Another case in: *Diario de Argel*, year 1720, March 8, «When the ransom amount of our order came from the Provinces of Castile and Andalusia, Francisco Rosique went with feigned tears to the redeemers so that they could rescue him, and moved with charity and compassion rescued him; but as soon as he saw himself free from slavery, he said that he wanted to be a Moor, and he renounced our holy faith, either at the request of the black woman with whom he was living, or because before he had this already planned with his boss, as many usually do, and give them part of what the redeemers gave...; after he was rescued, he renounced, they circumcised him as is customary and he later married the black woman and became a soldier; they sent him to Pisgra, and there he has died like a beast ».

4. Privateering and Economic life.

Ximénez informs us about the importance of the privateering actions of Algiers in the Mediterranean, especially since privateering was the center of many economic activities that were carried out there, with the capture of boats with their loads, the spoils and especially the new captives. Thus, on May 26, 1718, he informed, "Yesterday and today the artillery and the troop fired a royal gun salute because, it is said, a considerable capture was brought. It has been learned that the Turks made twenty-seven Portuguese slaves on a caravel loaded with brandy, wine, sardines and other things, and among the captives there was a religious of the order of St. Francis and a clergyman, and it is a great pity, because there are already in this city more than twenty priests between those who are captives and those who are free".

Once the different enemy ships had been intercepted and their luggage and crew seized, the captives were taken directly to the Dey's house. Once in the house or palace of Dey in Algiers, the different consuls of the nations whose treaty and armistice of peace were still in force used to come to identify their captive compatriots. The Dey of Algiers used to take its eighth part of this prey, that is, out of every eight captives it chose one, and in general, it used to choose the most robust, the most important and those among them that had a profession, such as gunners, caulkers and others, which he put in the Baylique baths and the rest of the captives were sold in the Badistan by the different shipowners and individuals. The captives of the different baths of the Dey will be subjected to sale-purchase procedures at the Badistan, both by private individuals and also by different redeeming orders who used to go to the regency, once they had obtained a passport for such tasks,

> "I went to the Baptistan, where the captives of the Privateering were, and they told me how fifteen had come, ten Valencians and five Catalans, who had gone out to fish in the sea, and the Turks caught them. They had them at the Baptistan, to sell them, and divide the price between shipowners and the baylique. The Baptistan is the place where not only the Christianos are sold, but also everything that they bring in the raids. They sell Christians as beasts, and loudly publishing the price they ask for them and saying

> whoever gives more, they auction it off and when they reach the amount that they believe they worth, they auction it off, and pay the money, and they take the captive, they make him walk like the beasts, they say he is good looking, that they will have a lot of profit with him, that he is worth a lot of money and in short everything that a skilled merchant does in anything that sells[25]."

In the second half of the eighteenth century, some sources affirm that "it is very difficult discern exactly the trade which foreigners do in Algiers, being mainly based on the goods of the preys." However, it must be said that the way in which the preys were distributed and sold, first at the king's house, then, after various operations, in Badestan meant that the ports could not become a place of extremely active exchange, even if "the things that come by sea are sold to the navy[26]." As the privateering was a state affair, many transactions were carried out at the Djenina, the palace of the dey, then at the Badestan. At the very moment the prize is agreed, the dey sends on his behalf the controller of prize affairs, and also goes the secretary of the privateer ship on behalf of the crew. They unload the goods and put them into the store, in order to keep an exact account. After that, the controller seizes the eighth of the goods of the shipment for the dey, and places them in the deylik or state stores.

As soon as the controller has received on behalf of the dey the eighth of the goods belonging to the deylik, if those which remain are easy to share, such as sugar, tobacco and similar, they are divided half to the shipowners and the other half to the crew. There are no procedures, no fees, and the work is all done by the slaves. If the merchandise is not easy to share, or if there is some difficulty between those who are entitled to it, it is auctioned off, paid for in cash, and the proceeds are divided.

As for the hinterland, the Mitidja plain was flourishing. It produced in the first quarter of the eighteenth century two crops of grain per year, fruits, legumes, vegetables, and cattle. Rural markets

[25] *Diario de Argel*, year 1719, March 28.

[26] **MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II. La course, mythes et réalité,* Paris, Bouchène, 2007, p. 67.

were also held there on certain days. Blida was then a prosperous city: its activity, based on agriculture, market gardening and silkworms, met the needs of Algiers[27]. There were many reasons for internal trade to take a growing place, especially when maritime trade stifled, lashed by the European powers, to the point that the government of Algiers decided to declare war on Holland in 1716 for be able to attack its ships. Laugier de Tassy relates this episode in these terms: "There was once the house of a consul of the General States of the United Provinces of the Netherlands, but he retired in 1716. As the corsairs of Algiers hardly made any more catch, the Militia made the Divan to assembly, and there they complaint that they no longer encountered any enemy vessels at sea; that generally they met French, English or Dutch ships (countries with a peace treaty with the Regency of Algiers); and that as the country could not support itself without taking a hold, it was necessary to declare war on one of the three nations by a votation. The result was The Netherlands. At the same time, a ship of this nation which was in the harbor was arrested, and the dey sent orders to all the ports of the kingdom to do the same. He gave the consul the time he wanted to settle his affairs, he consoled him and pity him. This consul was much loved by the dey, and had a well-established reputation among Christians, Turks and Moors[28]."

Ximénez comments on this breach of treaty in similar terms as to the facts, but with different intention. He relates on December 4, 1719 the events of the day, among others, the arrival of "the ambassador of the Great Turk", who came to obtain peace from the Algerians with the Netherlands: "But the corsairs rejected it because they say that what would they eat if peace is going to be made with the Dutch; they will have to keep the ships moored and that they will perish in the harbor. And they are partly right, because on no other nation do they take more hold than that one, nor more advantageous. During the three years of peace that they had with

[27]**BERNABÉ PONS (Luis F.)** : « Los moriscos en Argelia », *Argelia y España. Puentes en la Historia*, Granada, OHL, 2016, p. 161-174.

[28]**LAUGIER DE TASSY (Jacques Phillippe)** : *Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam : chez Henri du Sauzet, 1725, p. 288. On Laugier de Tassy see **THOMSON (Ann)** : « Jacques Philippe Laugier de Tassy », in *Christian-Muslim Relations 1500-1900*, General Editor David Thomas. Consulted online on 30 November 2022 http://dx.doi.org/10.1163/2451-9537_cmrii_COM_29743.

them these past years they died, as the Algerians said, of starving, and seeing that they had no profit with the other nations, they took the decision to engage the war, without any other reason and without informing Holland or telling something to the Dutch consul. Then they began to bring in ships and captives from this nation, and then they allowed the consul to leave. But it is well done for them, as they think that it is not right to make war against the Turks, and that to fight against them is to go against God who sees our iniquities towards them. This is the way of thinking of Luther and his followers and that's why he is condemned by Pope Leo X in proposition 34[29]."

Then, Laugier de Tassy explains the decision-making of the Algerians, while Father Ximénez judges the Algerians' way of proceeding and the position of the Lutherans, opposing them that of the Roman Catholic Church. In short, he rejoices at the misfortune of the Dutch ships. The Spanish friar expresses his opinion in relation to the two protagonists he condemns, in accordance with the position of the Roman Catholic Church. Of course, it is no wonder that he always complains about the services that some Europeans nations give to the Turk regarding Privateering affairs,

> The French vessel has brought two guns for the vessels of the Turks, guns commissioned to a French merchant who is here called Monsieur Lup[30], and the English have brought anchors, wood, and all the necessary to arm the ship or the Capitanes ship of the Baylique, and in this way they armor all their ships to privateer and do harm to the Christians who have war with these Moors, who are assisted by England, Holland and France[31].

The new ship of the Baylique, soon started its activity. According to Ximénez, its first trip was a real event in the city,

[29]*Diario de Argel*, year 1719, December 4.
[30]Lazare Loup was at that moment the agent in Algiers of the Compagnie d'Afrique, a French company which was a concessionary of commercial establishments in eastern Algeria. This company was active from 1713 to 1719.
[31]*Diario de Argel*, year 1719, April 22.

> Today the new Capitanes ship which has been finished for the Baylik has left the port, and it has fifty-six very good cannons, and eight hundred people, eighty Christian sailors, and the Turks, who are the best and more valiant soldiers than Algiers has; and as ra'is does Viquer; this is the first time that he goes out to privateer[32].

Thus, the maritime activity was subordinated to privateering more than related to the ordinary commercial exchanges, although traces of this commerce can also be found in the *Diaries:* "A Mallorcan came to ask in this French boat a passport of the king of Algiers to do business in this city, and we were very happy about, because we will have frequent news from Spain." As the regency could not survive only by peaceful exchanges, with the breaking of the peace treaties, the exercise of privateering became a necessary way. Trade with the Levant and the Mediterranean basin including Spain, with England, ensured the wealth of Algiers in the 1580s. In the eighteenth century the merchants still came to Algiers, but the situation was just not the same. As Fernand Braudel showed, privateering and trade were inextricably linked. This was also clear for Father Ximenez:

> The main purpose of the Privateering is not to bring captives, but to seize merchandise and other things of more value than the ransoms of Christians, and even if there were no redemptions but only Navies, they would leave the ports for the interest of these presses[33].

Conclusion

The Diaries of Francisco Ximénez are a very interesting source for analyzing Algerian society in the 18th century. Due to his position in the Hospital of his Order, Ximénez is close to what happens in the daily life of the Regency. In this way, he offers precious testimonies about commercial life in Algiers, especially in relation to merchants, privateering and captivity. But he also offers interesting data on the social composition of the city and its particular problems.

[32] *Diario de Argel*, year 1719, June 15.
[33] *Diario de Argel*, year 1719, July 11.

Manuscript sources

XIMÉNEZ DE SANTA CATALINA (Francisco): Diario de Argel, Real Academia de la Historia (Madrid), Ms. 9/6.008, 9/6.009, 9/6.010.

Printed sources

-**DUREAU DE LA MALLE (Adolphe)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger de Peyssonnel (1724-1725) et Desfontaines (1783-1786)*, Paris, Gide et Pihan de La Forest, 1838, Tome premier.

-**LAUGIER DE TASSY (Jacques-Phillippe)** : *Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam, chez Henri du Sauzet, 1725.

-**MORGAN (J.)** : *Mahometism Fully Explained: containing, I. The previous Disposition to, and the Method of the Creation …The Prayers, Ceremonies, Fasts, festivals, and other Rites observed by the Mahometans. With a Remarkable Description of the Day of Judgement. Writen in Spanish and Arabic, in the Year M. DC. III. for the Instruction of the Moriscos in Spain. By Mahomet Rabadan, an Arragonian Moor. Translated from the Original Manuscript, and Illustrated with Large Explanatory Notes. By Mr. Morgan.*, London, W. Mears, 1723.

-**VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel)** : *Alger au XVIII^e^ siècle*, Alger, Adolphe Jourdan, 1898.

Bibliography

-**ALVAREZ DOPICO (C. I.)** : « La *Colonia Trinitaria* de Francisco Ximénez: une source pour la Relation du médecin marseillais J.-A. Peyssonnel », in Sadok Boubaker y Clara Ilham Álvarez Dopico eds. *Empreintes espagnoles dans l´histoire tunisienne*, Gijón, Trea, 2011, 105-168.

-**ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « The Catholic Consecration of an Islamic dār. The Saint John de Matha Trinitarian Hospital in Tunis », in Stephen M. Caffey et Mohammad Gharipour (dir.), *Non Islamic Sacred Sites in Muslim Territories*, Leyden, Brill, 2013, 291-307.

-**ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « La religiosité au quotidien: la captivité à Tunis à travers les écrits de fray Francisco Ximénez (1720-1735) », *Cahiers de la Méditerranée*, 87, 2013, 319-334.

-**ÁLVAREZ DOPICO (Clara Ilham)**: « Algunos aspectos del Islam en el Túnez otomano a los ojos del trinitario Francisco Ximénez », *Rivista di Storia e Letteratura Religiosa*, 51/3, 2015, 491-513.

-**BERNABÉ PONS (Luis F.)** : « Los moriscos en Argelia », *Argelia y España. Puentes en la Historia*, Granada, OHL, 2016, 161-174.

-**BERNABÉ PONS (Luis F.)**: « Percepciones de las diferencias. Islam, moriscos y España en el siglo XVIII », *eHumanista*, 43, 2019, 17-29.

-**DE BUNES (Miguel Ángel)** : « Una descripción de Túnez en el siglo XVIII : el diario de Francisco Ximénez », *Hesperia. Culturas del Mediterráneo*, 10, 2008, 85-96.

-**EPALZA (M. de)**: « Relaciones del Cónsul británico Morgan con descendientes de moriscos en el Mágreb (siglo XVIII) », *Estudios de Filología Inglesa: Homenaje al Doctor Pedro Jesús Marcos Pérez*, Alicante, Universidad de Alicante, 1990, 615-620.

-**GARCÍA-ARENAL (Mercedes)**: « Nota a las traducciones manuscritas de F. Ximenez en la Real Academia de la Historia », *Al-Qantara*, 6, 1, 1985, 525-534.

-**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II. La course, mythes et réalité*, Paris, Bouchène, 2007.

-**OULD CADI MONTEBOURG (Leila)** : *Alger, une cité turque au temps de l'esclavage, à travers le Journal d'Alger du père Ximénez (1718-1720)*, Montpellier, Université Paul-Valery Montpellier III, 2006.

-**PORRES ALONSO (Bonifacio)**: « Los hospitales trinitarios de Argel y Túnez », *Hispania Sacra*, 48, n° 98, 1996, 639-717.

-**SEBAG (Paul)**: « L'hôpital des Trinitaires espagnols (1720-1818) », *Ibla*, 174, 1994, 203-218.

-**THOMSON (Ann)** : « Jacques Philippe Laugier de Tassy », in *Christian-Muslim Relations 1500-1900*, General Editor David Thomas. Consulted online on 30 November 2022 http://dx.doi.org/10.1163/2451-9537_cmrii_COM_29743.